

إيضاح المحجة في الرد على صاحب طنجة

تأليف الفقير إلى الله تعالى
حمود بن عبدالله التويجري
(غفر الله له ولوالديه)

الطبعة الأولى
مؤسسة النور للطباعة والتجليد – الرياض
شارع الإمام أحمد بن حنبل ت/ 877 الديرة.



من مطبوعات دار الإفتاء
(توزع مجاناً)



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم بقلم:
مفتي البلاد السعودية

الحمدلله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد فقد اطلعت على هـذا المؤلف لفضـيلة الشـيخ حمـود بن عبدالله التويجري الموسوم (**بإيضاح المحجة في الرد على صـاحب طنجة**) كشفاً للشبهات للردود عليه وإبطالا لترهاته, فوجدته ردا كافياً شافياً, فجزى الله الشـيخ حمـوداً خـيراً وزاده من التصـدي لنصرة الدين ورد شبهات المبطلين.

قاله الفقـير إلى عفو الله محمد بن إبـراهيم بن عبـداللطيف وصـلى الله على نبينا محمد وآله وصـحبه وسـلم.
14/5/1385

الختم:
محمد بن إبراهيم آل الشيخ



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العــالمين. والعاقبة للمتقين. ولا عــدوان الا على الظالمين.

وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المــبين. وأشــهد أن محمــداً عبــده ورســوله الصــادق الأمين. وعلى آله وأصـحابه ومن تبعهم باحسـان إلى يـوم الـدين. وسـلم تسـليماً كثيرا.

أما بعد فقد وقفت على مؤلف لاحمد بن محمد بن الصـــــديق الغمـاري الحسـني من اهـالي طنجة البلـدة المعروفة في اقصى المغرب. سماه «مطابقة الاختراعات العصرية. لما اخـبر به سـيد البريـة» فـرأيت فيه اخطـاءا كثـيرة من تأويل الآيـات والأحـاديث على غــير تأويلها ومن وقيعة في انصــار الـدين. ومــدح واطــراء لاعداء الدين. إلى غير ذلك من الاخطاء الـتي قد شـوه بها كتابـه. وقد نبهت على ما لا يسع السـكوت عنه من تلك الاخطـاء خشـية ان يغتر بها من قل نصيبه من العلم النافع.

والله المســئول ان يوفقــني واخــواني المســلمين لما يحب ويرضى من الاقــــوال والاعمـــال. وان يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه. ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه ولا يجعله ملتبسا علينا فنضل.

وما اشير اليه من صفحات الكتابِ فالمراد بــذلك الطبعة الثانية سنة 1379هـ مطبعة محمد عاطف.



فصل

قال المؤلف في خطبة الكتاب ما نصه.
أما بعد فان علم النبي بالغيب واطلاع الله تعالى اياه على ما كـان وما يكـون الي قيـام السـاعة والى ان يصـير الفريقـان الى منازلهم من الجنة أو النـار, بل وما بعد ذلك الى ما لا نهاية له من الازمــان, معلــوم ضــرورة لأهل الايمــان, مقطــوع به عند اهل المعرفة والإيقـــان؛ لا يختلف في ذلك منهم اثنـــان ولا يشك فيه فاضلان.
والجواب ان يقـال أما اطلاع الله تعـالى لرسـوله محمد على ما كان وما يكون الى قيام السـاعة والى أن يصـير الفريقـان الى منازلهم من الجنة أو النـار فهـذا صـحيح, وقد جـاء في ذلك عـدة احاديث ذكر المصنف بعضها, منها حديث عمر رضي الله عنه قال قـام فينا رسـول الله مقاما فاخبرنا عن بـدء الخلق حـتى دخل اهل الجنة منـــازلهم واهل النـــار منـــازلهم حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه رواه البخاري تعليقا مجزوما به ووصله الطبراني وأبو نعيم.
ومنها حـــديث حذيفة رضي الله عنه قـــال لقد خطبنا النـــبي خطبته ما تـرك فيها شـيئا الى قيـام السـاعة الا ذكـره علمه من علمه وجهله من جهله. رواه الامام احمد والشيخان وابو داود.
ومنها حـديث حذيفة ايضا رضي الله عنه قـال اخـبرني رسـول الله بما هو كـائن الي ان تقـوم السـاعة فما منه شـيء الا قد سـألته الا اني لم أسـأله ما يخــرج اهل المدينة من المدينة رواه الامام احمد وابو داود الطيالسي ومسلم.
ومنها حديث ابي زيد وهو عمرو بن اخطب الانصاري رضي الله عنه قال صلى بنا رسول الله الفجر وصعد المنبر فخطبنا حـتى حضرت الظهر فنـزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر ثم نـــزل فصـــلى ثم صـــعد المنـــبر فخطبنا حـــتى غـــربت الشـــمس فاخبرنا بما كـــان وبما هو كـــائن فاعلمنا احفظنا رواه الامام احمد ومسلم.
ومنها حـديث ابي سـعيد الخـدري رضي الله عنه قـال صـلى بنا رسول الله يوما صلاة العصر بنهار ثم قام خطيبا فلم يدع شـيئا يكون الى قيام السـاعة الا اخـبر به حفظه من حفظه ونسـيه من نسيه رواه الامام احمد وابو داود الطيالسي والترمذي والحاكم.
وقال الترمذي هذا حديث حسن.



ومنها حـديث المغـيرة بن شـعبة رضي الله عنه قـال قـام فينا رسـول الله مقامـاً اخبرنا بما يكـون في امته الى يـوم القيامة وعاه من وعاه ونسيه من نسيه رواه الامام احمد والطبراني.

ومنها حديث عمر رضي الله عنه قـال: قـال رسـول الله (ان الله عز وجل قد رفع لي الـدنيا فانا انظر اليها والى ما هو كـائن فيها الى يوم القيامة كأنما انظر الى كفي هذه) رواه الطبراني.

وأما علمه بما بعد دخول الجنة والنار الى ما لا نهاية له من الازمان فهذا لا دليل عليه. وقد قال الله تعالى (**ولا تقف ما ليس لك به علم**) وقد استدل المصنف على ذلك بقول الله تعالى (**عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا. الا من ارتضى من رسول**) ولا دليل في الآية على ما ذهب اليه.

فصل

وقال المصنف في صفحة 6 وصفحة 7 ما نصه.

فمن تلك الامور العظام التي قـال اننا سـنراها بـابور السـكة الحديد والاوطمبيل والبسكليتة وما في معناها.

وقد اخـبر بها بخصوصـها ووردت الاشـارة اليها في القـرآن والاحاديث النبوية.

أما القرآن ففي ثلاث آيـات حسـبما حضر لنـا, الآية الاولى قوله تعالى (**وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشـحون. وخلقنا لهم من مثله ما يركبـــون**) أي خلقنا لهم مما يماثل الفلك المشـــحون ما يركبـــون في الـــبر. والـــذي يماثل الفلك المشـــحون في كـــبره وكـــثرة حمله هو بـــابور السـكة الحديد وســيارات النقل الــتي تحمل عشــرات الركــاب مع بضــائعهم وحاجياتهم وتكون مـارة كأنها الاعلام طـولا وعلـوا كما وصف الله تعالى به السفن الجواري في البحر كالاعلام. وكذلك بابور السكة الحديد بل هو اولى بالشبه والمثلية للفلك المشحون.

أما المفسرون الذين فسـروا المثل في الآية بالابل فمعـذورون لانه لم يكن في زمـــانهم ما يشـــبه الفلك في حمل الركـــاب والبضائع فاضـطروا لحمل الآية على الابـل, وان كـان حملا بـاطلا مقطوعا ببطلانه لان الفلك المشحون يحمل العشرات من الناس باثقالهم ويحمل مع ذلك الكثير من السلع والبضائع, وهذا بالنسبة لما كـان في زمـانهم, أما ما حـدث في زماننا فالسـفينة تحمل الآلاف من الناس ومن القناطر المقنطرة من البضائع, ثم السفن التي كانت في زمانهم ايضا مع كبرها وحملها الكثـير من الركـاب والاثقال كانت تجري في البحر جريا حثيثا بالرياح كما قـال تعـالى (**وله الجواري المنشئات في البحر كالاعلام**).



وكل ذلك مخـالف لوصف الابل تمـام المخالفة فمشـيها بطيء للغاية وحملها لا يقاس بحمل السفن بل كـانت السـفينة تحمل ما يزيد على حمل مائة بعـير, فكيف يصح تفسـير الآية بهـا, بل ذلك باطل قطعا.

وإنما الذي يماثل الفلك المشحون تمام الماثلة في كـثرة حمله وسـرعة سـيره في البحر هو بـابور السـكة الحديد ثم السـيارات فهي المرادة بالآية جزما.

وقد قـــال ابن عبـــاس والحسن والضـــحاك وجماعة في الآية المـذكورة وخلقنا لهم سـفنا امثـال تلك السـفن يركبونهـا. قـال النحاس وهذا اصح لانه متصل الاسناد عن ابن عباس, وهـذا يـدل على شـفوف نظر ابن عبـاس رضي الله عنهما ونظـره بنـور الله تعالى في معاني القرآن الكـريم تصـديقا لـدعاء رسـول الله اذ قال «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل». فان وجـود السـفينة في الـــبر لا يخطر ببـــال احد ولا يكـــاد ينطق به عاقل في ذلك الـــوقت, ولكن ابن عبـــاس رضي الله عنهما نظر الى الغيب من ستر رقيق اذ قال ذلك فكان هو المطابق للحال الموافق للواقـع, انتهى المقصود من كلامه. وفيه ثلاثة اخطاء.

الأول: قوله ان حمل الآية على الابل باطل مقطوع ببطلانه.

والثاني: قوله ان بـابور السـكة الحديد والسـيارات هي المـرادة بالآية جزما.

والثالث: زعمه ان ابن عباس رضي الله عنهما حين قال وخلقنا لهم سفنا امثال تلك السفن يركبونها اراد بذلك السـيارات وبـابور السكة الحديد.

والجواب عن هذه الاخطاء وعما ذهب اليه في تفسـير الآية من وجوه.

الاول: ان الله تعالى عبر في الآية بصيغة الماضي الذي قد وقع فقال تعالى (**وخلقنا لهم من مثله ما يركبون**). وهذا صـريح في إرادة السفن الموجودة في زمن النـزول وما قبلـه. ولو كـان المراد بها ما حدث بعد النـزول باكثر من الف وثلاثمائة سنة لعـبر عن ذلك بصيغة المستقبل.

وهـذا ظـاهر في ابطـال ما جـزم به المصـنف في تفسـير الآية الكريمة, يوضح ذلك.

الوجه الثاني: وهو ان الله تعالى امتن على عباده بما يسره من حمل ابائهم في سفينة نوح عليه الصلاة والسـلام وجعل ذلك من آياته الدالة على كمـــال قدرتـــه. ثم امتن عليهم بما خلق لهم من السفن المشـابهة لسـفينة نـوح ليشـكروه على ما انعم به عليهم



ويفـردوه بالعبـادة. واول من خـوطب بهـذا التـذكير والامتنـان هم كفار قريش ومن حولهم من أحياء العرب.

ويدل على ذلك قوله تعالى في اول السـورة (**لتنـذر قوما ما انـذر ابـاؤهم فهم غـافلون**) وقوله بعد الآية الـتي ذكر فيها الفلك (**وما تأتيهم من آية من آيـات ربهم الا كـانوا عنها معرضين**).

وليس من المعقـول ان يخـاطبهم الله تعـالى ويـذكرهم بما لا يعرفونه وان يمتن عليهم بما يحـــدث بعـــدهم بـــاكثر من الف وثلثمائة سنة.

الوجه الثـــالث ان الله تعـــالى عقب الآية بقوله (**وإن نشأ نغرقهم فلا صـريخ لهم ولا هم ينقـذون**) وهـذا واضح في إرادة السفن التي تجري في البحر. ولو كان المراد ما حــدث من السيارات وبابور السكة الحديد لكان ذكر الغـرق ههنا لا معـنى له ولا فائدة في ذكره.

الوجه الرابع ان ابن عبـاس رضي الله عنهما قـال في تفســير الآية هي السفن جعلت من بعد سفينة نوح على مثلها. وكذا قـال ابو مالك والضحاك وقتـادة وابو صـالح والسـدي ان المـراد بـذلك السفن. وهذا يرد ما زعمه المصنف من ان ابن عباس رضي الله عنهما اراد بذلك السيارات وبابور السكة الحديد.

وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما يعني بذلك الإبل. فانها سـفن الـبر يحملـون عليها ويركبونهـا. وكـذلك قـال عكرمة ومجاهد والحسن وغـيرهم. ويشـهد لهـذا قـول الله تعـالى (**وإن لكم في الانعـام لعـبرة نسـقيكم مما في بطونها ولكم فيها منـافع كثـيرة ومنها تـأكلون. وعليها وعلى الفلك تحملـون**) وهـذا يـرد قـول المصـنف إن حملها على الابل باطل مقطـوع ببطلانـه. والقـول الأول أقـوى وأولى بظـاهر الآية والله أعلم.

الوجه الخــامس: ان الصــحابة رضي الله عنهم اعلم بتفســير القرآن ممن جاء بعدهم ولا سيما حبر الأمة وترجمان القـرآن ابن عبــاس رضي الله عنهمــا, وقد فسر المــراد من الآية بالســفن وفســره ايضا بالابل لاشــتراكها مع الســفن في حمل الاثقــال والركوب عليها ومع هذا يقـول المصـنف ان حمل الآية على الابل باطل مقطوع ببطلانه, وهذه جراءة عظيمة على مقام حبر الأمة, ومن قال بقوله من أكابر التابعين.

الوجه السادس: ان الباطل قطعا هو جزم المصنف بـان المـراد بالآية السيارات وبابور السكة الحديد, وعزوه ذلك الى ابن عباس رضي الله عنهما وذلك من القول عليه بما لم يقله.



الوجه السابع: ان القول في القـرآن بمجـرد الـرأي حـرام. وقد ورد الوعيد الشديد على ذلك كما في الحـديث الـذي رواه الامـام أحمد والترمـذي وابن جرير والبغـوي عن ابن عبـاس رضي الله عنهما عن النـبي ﷺ انه قـال «من قـال في القـرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار» هذا لفظ ابن جرير وقـال الترمـذي هـذا حـديث حسن صـحيح. وروى الترمـذي ايضا وابو داود وابن جرير والبغوي عن جنـدب بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قـال قال رسول الله ﷺ (من قال في القرآن برأيه فاصاب فقد اخطـأ) قال الترمذي هذا حديث غريب.

قـال وهكـذا روي عن بعض اهل العلم من اصـحاب النـبي ﷺ وغيرهم انهم شددوا في هذا في أن يفسر القرآن بغير علم.

وأما الذي روي عن مجاهد وقتـادة وغيرهما من أهل العلم انهم فسروا القرآن فليس الظن بهم انهم قالوا في القرآن او فسروه بغـير علم أو من قبل أنفســهم, وقد روي عنهم ما يـدل على ما قلنا انهم لم يقولوا من قبل أنفسهم, ثم ساق باسناده عن قتـادة انه قال مافي القرآن آية الا وقد سمعت فيها شيئا.

وباسناده عن مجاهد انه قال لو كنت قرأت قـراءة ابن مسـعود لم احتج ان أسـأل ابن عبـاس عن كثـير من القـرآن مما سـألت انتهى كلام الترمذي.

وقال البغوي قال شيخنا الامام قد جاء الوعيد في حق من قـال في القـرآن برأيه وذلك فيمن قـال من قبل نفسه شـيئا من غـير علم.

قـال وأما التفسـير وهو الكلام في اسـباب نــزول الآية وشـأنها وقصتها فلا يجوز الا بالسماع بعد ثبوته من طريق النقل انتهى.

ولا يخفى ان تفسير المصنف لقول الله تعالى (**وخلقنا لهم من مثله ما يركبون**) وجزمه بان المراد بذلك السيارات وبابور السكة الحديد لم يكن من طريق النقل الثابت وانما هو تفسير بمجرد الرأي فهو بذلك متعرض للوعيد الشديد والله أعلم.

فصل

وقال المصنف في صفحة 7 وصفحة 8 ما نصه.

الآية الثالثة قوله تعـالى في اشـراط السـاعة (**واذا العشـار عطلت**) أي عن السفر عليها وحمل الاثقال عليها.

والعشـار هي الابل الـتي قد أتى عليها عشـرة أشـهر كما قـال ثعلب وأئمة اللغة. وانما عطلت عن السفر ونقل السلع والبضـائع عليها بوجود السيارات وبوابـير سـكة الحديد فانها بعد ظهورها لم يعد احد يسـافر على الابل او يرسل بضـائعه عليها الا نـادرا جـدا فيما لم يمكن سفر السيارات اليه حتى ان عرب الحجاز وجزيـرة



العرب تضرروا غاية لما عبدت الطرق في بلادهم وانتشرت فيها السيارات التي عطلت ابلهم عن العمل الذي كانوا منه يرتزقون.
وقد ورد التصريح بهذا ايضا عن رسول الله فقال مسلم في صحيحه حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ليث عن سعيد بن أبي سعيد عن عطاء بن ميناء عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله «والله لينزلن ابن مريم حكما عدلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها» الحديث. القلاص بكسر القاف جمع قلوص بفتحها وهي من الابل كالفتاة من النساء. فقوله ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها تعيين للمراد من قوله تعالى. واذا العشار عطلت. يعني يترك استخدامها في السفر ونقل البضائع كما كان حالها من قبل.

والجواب عن هذا من وجوه:

الأول ان الآيات في أول سورة التكوير ليست واردة في أشراط الساعة كما زعم ذلك المصنف, وإنما هي في أهوال يوم القيامة كما هو واضح من سياق الآيات, وكما هو ظاهر من كلام المفسرين من الصحابة وأئمة التابعين, والدليل على ذلك ما رواه الإمام احمد والترمذي والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سره ان ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ (**اذا الشمس كورت**). وإذا (**السماء انفطرت**). (**وإذا السماء انشقت**)» قال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في تلخيصه.

الوجه الثاني: ان تفسيره لآية التكوير تفسير بمجرد الرأي. وقد تقدم ان ذلك حرام ومتوعد عليه بالوعيد الشديد.

الوجه الثالث: ان أبي بن كعب رضي الله عنه وغير واحد من أكابر التابعين فسروا الآية بغير ما فسرها به المصنف وهم أعلم بكتاب الله منه. والمرجع في التفسير اليهم وإلى أمثالهم, لا إلى المتكلفين كالمصنف وأمثاله من العصريين. قال أبي بن كعب رضي الله عنه في قوله تعالى (**وإذا العشار عطلت**) قال أهملها أهلها, وقال عكرمة ومجاهد هي عشار الإبل, قال مجاهد عطلت تركت وسيبت وقال الربيع بن خثيم لم تحلب ولم تصر تخلى منها أربابها. وقال الضحاك تركت لا راعي لها.

قال ابن كثير والمعنى في هذا كله متقارب.

قال والمقصود ان العشار من الإبل وهي خيارها والحوامل منها التي قد وصلت في حملها إلى الشهر العاشر قد اشتغل الناس عنها وعن كفالتها والانتفاع بها بعد ما كانوا ارغب شيء فيها بما دهمهم من الامر العظيم المفظع الهائل وهو امر يوم القيامة



وانعقاد أسبابها ووقوع مقدماتها. وقيل بل يكون ذلك يـوم القيامة يراها أصحابها كذلك لا سبيل لهم إليها.

قلت ويقوي هذا القول ما تقدم ذكره من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

الوجه الرابـع: ان العشـار من الإبل لا يركبها أهلها ولا يحملـون عليها إلا في النادر, وإنما يركبون ويحملون على الـذكور من الإبل والحوائل من إناثها ولا سيما الشـواب منها وهي المـراد بـالقلاص قال الجـوهري القلـوص من النـوق الشـابة وهي بمنـــزلة الجارية من النساء وقال العدوي, القلـوص أول ما يـركب من إنـاث الإبل إلى أن تثني فإذا أثنت فهي ناقة. والقعود أول ما يركب من ذكور الإبل إلى أن يثـــني فـــإذا أثـــنى فهو جمل وربما ســـموا الناقة الطويلة القوائم قلوصا. وقال صاحب القاموس القلوص من الإبل الشـــابة أو الباقية على الســـير خـــاص بالإنـــاث. وقـــال مرتضى الحسـيني في تـاج العـروس قـال ابن دريد هو خـاص بالإنـاث ولا يقال للذكور قلوص انتهى.

وإذا كانت العشار لا تركب ولا يحمل عليها إلا نـادرا فـأي متعلق للمصـــنف في قوله تعـــالى. (**وإذا العشـــار عطلت**). إذ لا دليل فيها على ما ذهب إليه.

الوجه الخـامس: أن المصـنف جعل معـنى الآية ومعـنى ما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه واحـدا وليس الأمر كـذلك, فـإن التعطيل المذكور في الآية هو تركها بالكلية لاشـتغال النـاس عنها بما حل بهم من الهـول العظيم. واما الـترك المـذكور في حـديث أبي هريرة فهو تـرك السـعي عليها لا تركها بالكلية وأين هـذا من ذاك.

وقد اختلف في معنى ترك السـعي على القلاص فقـال النـووي معنـاه أن يزهد فيها ولا يـرغب في اقتنائها لكـثرة الأمـوال وقلة الآمـال وعـدم الحاجة والعلم بقـرب القيامة وإنما ذكـرت القلاص لكونها أشـرف الإبل الـتي هي أنفس الأمـوال عند العـرب وهو شبيه بمعنى قـول الله عز وجـل. وإذا العشـار عطلت. ومعـنى لا يسعى عليها لا يعتني بها أي يتساهل أهلها فيها ولا يعتنون بها هذا هو الظاهر وقال القاضي عياض وصاحب المطالع معنى لا يسعى عليها أي لا تطلب زكاتها إذ لا يوجد من يقبلها.

قلت وهكذا قـال ابن الأثـير وابن منظـور في لسـان العـرب أن معنى لا يسعى عليها أي لا يخرج ساع إلى زكاة لقلة حاجة الناس إلى المال واستغنائهم عنه.

قـال النـووي وهـذا تأويل باطل من وجـوه كثـيرة. قلت بل هو أقـوى وأظهر من قـول النـووي. ويؤيـده ما رواه ابن ماجه من



حـــديث أبي أمامة البــاهلي رضي الله عنه عن النـــبي في ذكر الدجال ونـــزول عيسى عليه الصـلاة والسـلام, وفيه قـال رسـول الله «فيكون عيسى بن مريم عليه الصـلاة والسـلام في أمـتي حكما عـدلا وإماما مقسـطا يـدق الصـليب ويـذبح الخنـــزير ويضع الجزية ويـترك الصـدقة فلا يسـعى على شـاة ولا بعـير» الحـديث وهو مطـــابق لحـــديث أبي هريـــرة الـــذي تقـــدم ذكـــره في كلام المصـنف ومفسر لمعـنى تـرك السـعي على القلاص اذ كل من الحديثين وارد فيما يكـون في أيـام عيسى عليه الصـلاة والسـلام فما أبهم في حـــديث أبي هريـــرة رضي الله عنه فهو مفسر في حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

ويؤيـده أيضا ما في الصـحيحين وغيرهما عن أبي هريـرة رضي الله عنه عن النـبي قـال:«لا تقـوم السـاعة حـتى يكـثر المـال ويفيض حتى يخـرج الرجل بزكـاة ماله فلا يجد أحـدا يقبلها منـه» هذا لفظ مسلم.

وفي الصــحيحين أيضا من حــديث حارثة بن وهب وأبي موسى رضي الله عنهما عن النبي نحوه. وروى الإمام أحمد والبخــاري من حـديث عـدي بن حـاتم رضي الله عنه عن النـبي نحو ذلك أيضا.

ومما يرد قول النووي ما رواه الإمـام أحمد ومسـلم من حـديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي أنه قـال «ثم ينفخ في الصـور فلا يسـمعه أحد إلا أصـغى ليتا ورفع ليتا[1] قـال وأول من يسمعه رجل يلوط حوض ابله فيصعق ويصعق الناس».

وهذا يدل على أن الرغبة في اقتنـاء الإبل لا تـزال باقية إلى أن ينفخ في الصـور لا كما يقـول النـووي أن أهلها يزهـدون فيها ولا يعتنون بها.

ويحتمل أن يكون معنى قوله وتترك القلاص لا يسـعى عليها أي يترك ركوبها في الأسـفار والحمل عليها وهـذا مطـابق للواقع في هذه الأزمان وإن كان قول عياض ومن وافقه أقوى منه من حيث الدليل.

ويحتمل أن يكون كل من الأمرين مراداً في الحديث أعنى ترك السعي عليها للصدقة وترك ركوبها والحمل عليها والله أعلم.

الوجه السادس أن عـرب الحجـاز وجزيـرة العـرب لم يتضـرروا من تعبيد الطــرق في بلادهم وانتشــار الســيارات فيها كما زعمه المصـنف بل انتفعـوا به كثـيراً واسـتراحوا من كثـير من المشـقة والعناء مما كان يصيبهم بسبب السـفر على الابل والحمل عليهـا, وكان ارتزاقهم بسبب السيارات أعظم بكثير من ارتزاقهم بسبب

---

[1] (?)الليت: صفحة العنق وهما ليتان, وأصغى: أمال «نهاية».



الإبل. وانتفعوا أيضا بكثرة أثمان الإبل فقد كانت الناقة الجيدة في زمن السفر على الإبل والحمل عليها تساوي مائة ريال او نحوها وأما الآن فتساوي سبعمائة وثمانمائة وربما زادت على الألف وهذا خير لأهل الإبل مما كان من قبل.

فصل

وفي صفحة (8) جزم المصنف ببقاء استعمال السيارات إلى زمان نزول عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام.

وهذا مما لا ينبغي الجزم به لأن ما يقع في المستقبل أمر غيبي لا يعلمه إلا الله تعالى قال الله تعالى (**قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله**) وقال تعالى (**وما تدري نفس ماذا تكسب غدا**) وقال تعالى (**وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو**) الآية.

وفي الحديث الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله لا يعلم ما في غد إلا الله, ولا يعلم نزول الغيث إلا الله, ولا يعلم ما في الأرحام إلا الله, ولا يعلم الساعة إلا الله, وما تدري نفس ماذا تكسب غدا, وما تدري نفس بأي أرض تموت» رواه الإمام أحمد والبخاري.

وإذا علم هذا فإثبات ما يكون في المستقبل يحتاج إلى دليل قاطع من نصوص الكتاب أو السنة, ولا دليل على ما ذكره المصنف فلا ينبغي إذن الجزم ببقاء السيارات إلى زمان نزول عيسى عليه الصلاة والسلام فقد يفنيها الله ويفني صانعها كما أفنى القرون الأولى وأفنى صنائعهم معهم وأبقى من آثارهم نموذجا يسيرا أدهش به المتأخرين وحيرهم كالأهرام المصرية وغيرها من الآثار القديمة.

ولا ينبغي أيضا الجزم بعدم السيارات فقد يبقيها الله تعالى إلى زمان نزول عيسى عليه الصلاة والسلام.

والمقصود ههنا أنه لا يجوز الخوض في الأمور المستقبلة بمجرد الظن والتخرص, بل يرد علم ذلك إلى عالم الغيب والشهادة الذي يعلم ما كان وما يكون. لا إله إلا هو, ولا رب سواه.

فصل

في صفحة (9 و15) جزم المصنف أن الدجال وأعوانه يسيرون في الطائرات والسيارات.

وهذا مما لا ينبغي الجزم به لان ما يكون في المستقبل لا يعلمه إلا الله تعالى, وليس مع المصنف دليل قاطع فيما ذهب إليه.

وأما قوله في حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قلنا يا رسول الله وما اسراعه في الأرض؟ قال كالغيث استدبرته الريح



فلا يلزم منه أن يكون سيره على الطائرات والسيارات بل قد تخرق له العادة إما بطي الأرض وإما بغير ذلك.

وقد جاء في حديث جابر رضي الله عنه قال قام رسول الله ذات يوم على المنبر فقال:«يا أيها الناس إني لم أجمعكم لخبر جاء من السماء – فذكر حديث الجساسة وزاد فيه – هو المسيح تطوى له الأرض في أربعين يوما». الحديث رواه أبو يعلى بإسنادين قال الهيثمي: رجال أحدهما رجال الصحيح.

وروى الحاكم في مستدركه من حديث أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه أنه قال «الدجال يخرج في نقص من الناس وخفة من الدين وسوء ذات بين, فيرد كل منهل فتطوى له الأرض طي فروة الكبش» الحديث وفيه «ولا يسخر له من المطايا إلا الحمار فهو رجس على رجس» وقال الذهبي في تلخيصه: على شرط البخاري ومسلم.

وروى الإمام أحمد في مسنده عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال قال رسول الله «يخرج الدجال في خفة من الدين وإدبار من العلم, وله أربعون ليلة يسيحها في الأرض اليوم منها كالسنة واليوم منها كالشهر واليوم منها كالجمعة ثم سائر أيامه كأيامكم هذه, وله حمار يركبه عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعا» الحديث, وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

ورواه الحاكم في مستدركه وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي في تلخيصه: على شرط مسلم.

وما في هذه الأحاديث هو المعتمد في سير الدجال في الأرض لصحة أسانيدها وعدم ما ينافيها. وركوبه على الحمار الذي عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعاً أبلغ في الافتتان به من ركوبه على الطائرات والسيارات وغيرهما مما قد عرفه الناس واعتادوا ركوبه, وكذلك سيره على الحمار العظيم الجسم قد يكون أسرع من سير الطائرات بكثير والله أعلم.

والمقصود هنا أنه لا ينبغي الجزم بسير الدجال في الطائرات والسيارات ولا بعدم ذلك؛ لأنه أمر غيبي, والخوض في مثل ذلك من الرجم بالغيب.

فصل

وفي صفحة (10) جزم المصنف في شأن المهدي بنحو ما جزم به في شأن عيسى والدجال من بقاء الطائرات والسيارات إلى زمانه.

والجواب عنه هو ما تقدم في الفصلين قبله والله أعلم.

فصل

وقال المصنف في صفحة (16) ما نصه:



وأما الطـــائرات الحربية فمـــذكورة في القـــرآن العظيم وفي السـنة النبويـة. قـال الله تعـالى (**والمرسـلات عرفـا. فالعاصفات عصفا. والناشرات نشرا. فالفارقات فرقا. فالملقيات ذكرا. عذراً أو نذرا. إنما توعدون لواقع**).

فهـذا وصف للطـائرات الحربية بجميع حركاتها وأفعالها تعصف بقنابلها, وهي تحتمل في اللغة معنيين ترك الناس كعصف مأكول وتميل أحيانا عن هـدفها وهو معـنى العصف أيضـاً وتنشر المنشـورات على الجنـود في ميـادين الحـرب وعلى الأهـالي والسكان في المـدن للدعاية والإخبـار بما تريـده الدولة المحاربة وتفرق بين الجموع والكتـائب فرقا لأن الـرعب بها والهزيمة أشد من غيرها بحيث لا يثبت تحتها جمع بل بمجرد رؤيتها من بعيد يقع الفرار والتفرق والاختفاء في الكهوف والملاجئ. فالملقيات ذكـرا عـذرا: تعـذر به الدولة عن ضـربها بعض الأمـاكن البريئة والـتي ليست من مراكز الحرب. أو نذرا تنذر به السكان وتخـوف وتوعد وتهدد وتطلب التسليم ونحو ذلك من نوع الإنذار كما هو معروف.

والجواب عن هذا من وجوه:

الأول أن تفسيره للآيات تفسير بمجرد الرأي بل إلحاد في آيات الله تعـالى وقرمطة فيها شـبيهة بقرمطة الرافضة وتـأويلهم للقرآن.

وقد تقدم أن تفسير القرآن بـالرأي حـرام ومتوعد عليه بالوعيد الشديد.

قال الله تعـالى (**إن الـذين يلحـدون في آياتنا لا يخفـون علينا أفمن يلقى في النار خـير أم من يـأتي آمنـاً يـوم القيامة اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير**).

وفي هـذه الآية الكريمة تهديد شـديد ووعيد أكيد لمن ألحد في آيات الله تعالى وتأولها على غـير تأويلهـا. قـال ابن عبـاس رضي الله عنهما: الإلحاد وضع الكلام على غير مواضعه.

ولا يخفى على ذي علم ما جـــرى عليه أحمد بن محمد بن الصديق الغماري من تفسيره لآيات كثيرة بمجـرد الـرأي ووضـعه الكلام فيها على غير مواضعه ومخالفة ما جاء عن السلف الصالح في ذلك.

وقد روى الفريـابي عن الحسن قـال سـأل صـبيغ التميمي عمر بن الخطـاب رضي الله عنه عن الـذاريات ذروا. وعن المرسـلات عرفا وعن النازعــات غرقــا. فقــال عمر رضي الله عنه اكشف رأسك فإذا له ضفيرتان فقال: والله لو وجـدتك محلوقـاً لضـربت عنقك ثم كتب إلى أبي موسى الأشـــعري رضي الله عنه أن لا



يجالسه مسلم ولا يكلمه, وقد روي من غير وجه أن عمر رضي الله عنه ضربه ضرباً وجيعاً وحمله على قتب.

وروى الآجري في كتاب الشريعة من حديث السائب بن يزيد قال أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالوا يا أمير المؤمنين انا لقينا رجلا يسأل عن تأويل القرآن فقال اللهم أمكني منه فبينما عمر رضي الله عنه ذات يوم يغدى الناس إذ جاءه رجل عليه ثياب وعمامة يتغدى حتى إذا فرغ قال يا أمير المؤمنين (**والذاريات ذرواً. فالحاملات وقراً**) فقال عمر رضي الله عنه أنت هو فقام إليه فحسر عن ذراعيه فلم يزل يجلده حتى سقطت عمامته فقال والذي نفس عمر بيده لو وجدتك محلوقاً لضربت رأسك ألبسوه ثيابه واحتملوه على قتب ثم أخرجوه حتى تقدموا به بلاده ثم ليقم خطيبا ثم ليقل ان صبيغا طلب العلم فأخطأه. فلم يزل وضيعا في قومه حتى هلك وكان سيد قومه. وإذا كان هذا فعل عمر رضي الله عنه مع من كان يسأل عن متشابه القرآن فكيف لو رأى من يتأول القرآن على غير تأويله.

الوجه الثاني أن الصحابة والتابعين فسروا الآيات التي ذكرها المصنف بغير ما فسرها به وهم أعلم بتفسير القرآن ممن بعدهم.

قال أبو هريرة رضي الله عنه في قوله عز وجل (**والمرسلات عرفا**) قال هي الملائكة أرسلت بالمعروف رواه ابن أبي حاتم والحاكم في مستدركه وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في تلخيصه.

وروى ابن جرير من طريق مسروق عن ابن مسعود رضي الله عنه (**والمرسلات عرفا**) قال: الملائكة.

وروى ابن المنذر عن ابن عباس رضي الله عنهما (**والمرسلات عرفا**) قال: الملائكة (**فالفارقات فرقا**) قال: الملائكة فرقت بين الحق والباطل. (**فالملقيات ذكرا**) قال: الملائكة بالتنزيل.

وروى ابن جرير عن مسروق (**والمرسلات عرفا**) قال: الملائكة.

وروى عبد بن حميد عن مجاهد (**والمرسلات عرفا. فالعاصفات عصفاً. والناشرات نشرا. فالفارقات فرقا. فالملقيات ذكرا**) قال: الملائكة.

وروى عبد بن حميد وأبو الشيخ وابن المنذر عن أبي صالح (**والمرسلات عرفا**) قال: هي الرسل ترسل بالمعروف (**فالعاصفات عصفا**) قال: الريح (**والناشرات نشرا**) قال: المطر (**فالفارقات فرقا**) قال: الرسل. وروى عبد بن حميد



وابن جرير وابن المنذر من وجه آخر عن أبي صالح (**والمرسلات عرفا**) قال: الملائكة يجيئون بالأعارف (**فالعاصفات عصفا**) قال: الريح العواصف (**والناشرات نشرا**) قال: الملائكة ينشرون الكتب (**فالفارقات فرقا**) قال: الملائكة يفرقون بين الحق والباطل (**فالملقيات ذكرا**) قال: الملائكة يجيئون بالقرآن والكتاب (**عذرا**) من الله (**أو نذرا**) منه إلى الناس وهم الرسل يعذرون وينذرون.

وروى عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر من طريق أبي العبيدين أنه سأل ابن مسعود رضي الله عنه (**والمرسلات عرفا**) قال: الريح (**فالعاصفات عصفا**) قال: الريح (**والناشرات نشراً**) قال الريح (**فالفارقات فرقا**) قال: حسبك.

وروى عبد بن حميد وابن المنذر والحاكم وغيرهم عن خالد بن عرعرة قال: قام رجل إلى علي رضي الله عنه فقال: ما العاصفات عصفا؟ قال: الرياح. قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه, ووافقه الذهبي في تلخيصه.

وروى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما (**والمرسلات عرفا**) قال: الريح (**فالعاصفات عصفا**) قال: الريح (**فالفارقات فرقا**) قال: الملائكة (**فالملقيات ذكرا**) قال: الملائكة.

وروى ابن جرير عن مجاهد (**والمرسلات عرفا**) قال: الريح (**فالعاصفات عصفا**) قال: الريح (والناشرات نشرا) قال: الريح.

وروى عبدالرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة (والمرسلات عرفا) قال: هي الريح (فالعاصفات عصفا) قال: هي الريح (فالفارقات فرقا) يعني القرآن ما فرق الله به بين الحق والباطل (فالملقيات ذكرا) هي الملائكة تلقي الذكر على الرسل وتلقيه الرسل على بني آدم (عذرا أو نذرا) قال: عذرا من الله ونذرا منه إلى خلقه.

فهذه أقوال الصحابة والتابعين في تفسير الآيات من أول سورة المرسلات كما ترى, والعمدة عليها لا على قرمطة المقرمطين وشطحات المنحرفين الخاطئين.

الوجه الثاني: أن الله تبارك وتعالى أقسم بالآيات من أول سورة المرسلات على وقوع المعاد والجزاء. والله تبارك وتعالى أعظم وأجل من أن يقسم بظلم بني آدم وعدوان بعضهم على بعض وإهلاكهم للحرث والنسل بالطائرات والقنابل وما يلقونه من منشورات البغي والإفساد في الأرض, ومن زعم أن الله



تعــالى أقسم بالطــائرات والقنابل ومنشــورات أهلها فقد أعظم على الله الفرية.

فصل

وقال المصنف في صفحة (16 – 17) ما نصه:

وقــال تعــالى:(قل هو القــادر على أن يبعث عليكم عــذابا من فـوقكم أو من تحت أرجلكم) الآيـة. فإنها واردة في إلقـاء القنابل من الطـائرات. فقد سـئل رسـول الله عن هـذه الآية الكريمة فقال:(أما إنها كائنة ولم يأت تأويلها بعـد) رواه أحمد في مسـنده من حديث سعد بن أبي وقاص بسند حسن.

فهــذا يفيد القطع بــأن المــراد بالعــذاب من فــوق في الآية المــــذكورة هو القنابل النازلة من الطـــــائرات, لأنه لم يقع فيما مضى شــيء من ذلك في هــذه الأمة حــتى ظهــرت الطــائرات ورميها بالقنابل, والنـبي أخـبر بـأن ذلك كـائن لا محالة وأنه آت بعــده, فحصل من ذلك القطع أنها المــراد من الآيــة. وقد تحقق ذلك وضـرب المسـلمون وغـيرهم بالقنابل من فـوقهم, ولا يـزال الناس مهـددين بـالنوع الخطر منها وهي القنابل الذرية الـتي هي عذاب عام شامل وستأتي الإشارة إليها بخصوصها في آية أخرى.

وأما العـذاب من تحت الأرجل فأشـار إلى الألغـام الـتي تنصب في الأرض فيمر عليها من يــــــــراد إهلاكه فتنفجر تحت رجله أو عربته فيهلك أو تنصب تحت الدور والمنازل فتتهدم على من فيها ممن يريد الله هلاكه وعذابه.

ومن الأحاديث العجيبة في هذا الباب ما رواه أحمد في مسـنده بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسـول الله :«لا تقوم الساعة حتى تمطر السـماء مطـراً لا تكن منها بيـوت المدر ولا تكن منها إلا بيـوت الشـعر». فـالمطر الـذي لا تكن منه الــبيوت المبنية بــالحجر هو القنابل النازلة من الطــائرات, فإنه يهـدمها على من فيها ولو لم تنــزل على الـبيت نفسـه, لأن قـوة انفجارها تهدم البيوت القريبة من مكـان الانفجـار على من فيهـا, فلا تكن بيوت المدر منها وإنما تكن منها بيوت الشعر في البوادي الـتي سـكن أهلها خيـام الشـعر, فـإن القنابل إذا لم تنــزل على نفس الخيمة لا يحصل منها ضـرر لسـكان القرية الـذين يختـبئون في المغـارات وتحت الاحجـار. فالحـديث لـولا ظهـور القنابل لما تصور أحد معناه.

والجــواب أن يقــال:إن تأويله للآية الكريمة وقطعه بما قطع به فيها من نمط ما قبله من التكلف وتأول القرآن على غير تأويله.

والصــحيح أن المــراد بقوله (عــذابا من فــوقكم) الــرجم من الســماء (أو من تحت أرجلكم) الخســف, قاله أبي بن كعب وأبو



العالية ومجاهد وسعيد بن جبير وأبو مالك والسدي وابن زيد وغير واحد.

وقال ابن جرير: حدثني محمد بن عيسى الدمغاني قال: أخبرنا ابن المبارك عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) الآية.

قال: فهن أربع, وكلهن عذاب, فجاء منهن اثنتان بعد وفاة رسول الله بخمس وعشرين سنة فألبسوا شيعا وأذيق بعضهم بأس بعض, وبقيت اثنتان فهما لابد واقعتان, يعني الخسف والمسخ. وقد رواه الإمام أحمد وابن جرير من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب رضي الله عنه في قوله تبارك وتعالى (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا) قال: أربع خلال وكلهن عذاب, وكلهن واقع قبل يوم القيامة؛ فمضت اثنتان بعد وفاة النبي بخمس وعشرين سنة: ألبسوا شيعا؛ وأذيق بعضهم بأس بعض, وثنتان واقعتان لا محالة: الخسف, والرجم. قال الهيثمي: رجال أحمد ثقات. قلت وكذا رجال ابن جرير. قال الهيثمي: والظاهر أن من قوله: فمضت اثنتان... إلى آخره من قول رفيع – يعني أبا العالية – فإن أبي بن كعب رضي الله عنه لم يتأخر إلى زمن الفتنة انتهى.

والقول الثاني في الآية أن المراد بقوله (عذابا من فوقكم) أئمة السوء (أو من تحت أرجلكم) الخدم وسفلة الناس رواه ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قال ابن جرير – فيما نقله ابن كثير عنه –: وهذا القول وان كان له وجه صحيح لكن الأول أظهر وأقوى.

قال ابن كثير: وهو كما قال ابن جرير رحمه الله, ويشهد له بالصحة قوله تعالى (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور. أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير) وفي الحديث «ليكونن في هذه الأمة قذف وخسف ومسخ» وذلك مذكور مع نظائره في أمارات الساعة وأشراطها وظهور الآيات قبل يوم القيامة. انتهى.

وقد تضافرت الأخبار بوقوع القذف والخسف والمسخ في آخر هذه الأمة, وأكثر ما جاء الوعيد في ذلك لاصحاب الغناء والملاهي وشاربي الخمور, وهي توافق ما قاله أبي بن كعب رضي الله عنه ومن قال بقوله في تفسير الآية الكريمة.

وأما كلام المصنف في معنى حديث أبي هريرة رضي الله عنه فلا يخفى ما فيه من التعسف والتكلف, وما تصوره في معناه فهو تصور فاسد وبيان ذلك من وجوه:



أحـدها أن بيـوت الشـعر لا تكن من القنابل كما زعمه المصـنف بل هي أقــرب إلى الاحــتراق والتلف من بيــوت المــدر, وهــذا لا يخفى على الصبيان فضلا عن الكبار العقلاء.

الوجه الثــاني أن ســكان الخيــام إذا اختبــؤوا عن القنابل في المغارات وتحت الأحجار فلا يقال إن الخيـام هي الـتي تكنهم من القنابل كما تصوره المصنف وإنما تكنهم المغارات والأحجار.

الوجه الثـالث: أن الحـديث لا تعـرض فيه لـذكر الـبيوت المبنية بالحجر وإنما ذكرت فيه بيوت المدر, والمدر غير الحجر, قـال ابن الأثير المدر هو الطين المتماسك, وقـال ابن منظـور في «لسـان العرب» المدر: قطع الطين اليـابس وقيـل: الطين العلك الـذي لا رمل فيه. قال: والمدر للحوض أن تسد خصـاص حجارته بالمــدر, وقيل هو القرمـدة إلا أن القرمـدة بـالجص والمـدر بـالطين وفي «التهذيب» والمدر تطيينك وجه الحـوض بـالطين الحر لئلا ينشف انتهى.

وإذا علم هــذا فالظـاهر من صـنيع المصـنف أنه إنما عـدل عن بيوت المدر إلى بيوت الحجر ليـوهم بـذلك صـحة تصـوره الفاسد لمعنى الحديث. ولا يخفى ما في تعبـيره بـبيوت الحجر من تغيـير معنى الحديث وما يراد به.

الوجه الرابع: أن بيوت المدر إذا تتابع عليها نـزول المطر يومين أو نحوها لا يفــتر عنها لا يمسك المــاء. بل ينــزل منه قطر كثـير على من فيها بخلاف بيــوت الشــعر فــإن المــاء يــزل عنها وتكن ساكنيها منه, وهذا شـيء معـروف عند الحاضـرة والباديـة, وعلى هذا فالحديث على ظاهره لا على ما تصوره المصنف والله أعلم.

فصل

وقال المصنف في صفحة (17 - 18) ما نصه:

ومن تلك القنابل الـتي تلقيها الطـائرات للعـذاب ما ظهر حـديثا من القنابل الذرية والهيدروجينية القوية المفعــول وهي مع كونها داخلة بطريق الاولى في الآية السـابقة فلها أيضـاً آية تخصـها من بين أنواع القنابل الأخرى, قال تعالى في أشـراط السـاعة (حـتى إذا أخــذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قــادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس) فإن أهل الدنيا – وهم الكفار وإن ظنوا بما تيسر لهم من المخترعــات أنهم قادرون عليها اصلاحا وعمارة وتزيينا وهدماً وتخريبــا, لم يقو عندهم هذا الظن حتى حصل عندهم القطع أو كاد بـأنهم قـادرون عليها إلا بعد حصـولهم على القنابل الذرية والطاقة الذرية كما هو معلوم.



وبهذا يعلم أن الساعة قريبة جداً وان ظهور أشراطها الكبرى كالمهدي وعيسى عليهما السلام منتظر من يوم لآخر.

وقد يكون المراد قوله تعالى (أتاها أمرنا ليلا أو نهارا) أنه سيسلط أصحاب هذه القنابل بعضهم على بعض فيتحاربون بها ويكون ذلك سبباً في خراب الدنيا وجعلها حصيداً كما قال الله تعالى, وكما يصفه الواصفون لمفعول هذه القنابل التي يبدون منها تخوفهم العظيم على الدنيا بأسرها, ولكن لا تقع هذه الحرب المؤدية إلى ما قال الله تعالى إلا بعد خروج المهدي ونزول عيسى لقتل الدجال وطلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة وغير ذلك مما صحت به الأخبار ومما هو واقع لا محالة.

والجواب عن هذا من وجوه:

أحدها: أن هذا من نمط ما قبله من القرمطة والقول في كتاب الله بغير علم.

الثاني: أن الآية من سورة يونس ليست واردة في أشراط الساعة كما زعمه المصنف, وليست فيها دلالة على وجود القنابل الذرية والهيدروجينية بوجه من الوجوه, وإنما هي مثل ضربه الله تعالى لسرعة زوال الدنيا وانقضائها. ولا خلاف بين المفسرين في هذا.

وهذه الآية كقوله تعالى في سورة الكهف (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً).

وقال تعالى في سورة الزمر (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاما إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب).

وقال تعالى في سورة الحديد (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاما).

الوجه الثالث: أن خراب الدنيا بأسرها وقيام الساعة لا يكون على أيدي بني آدم بتفجير القنابل القوية المفعول, كما قد توهمه المصنف وكما يظنه كثير من أهل زماننا ممن قل نصيبهم من العلم النافع, وإنما يكون ذلك بالنفخ في الصور كما أخبر الله تعالى بذلك في آيات كثيرة من القرآن كقوله تعالى (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون). وقال تعالى (ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين). وقال تعالى (فإذا نفخ في الصور نفخة



واحدة. وحملت الأرض والجبال فـدكتا دكة واحـدة. فيومئذ وقعت الواقعـة. وانشـقت السـماء فهي يومئذ واهيـة) وقـال تعـالى (ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصـمون. فلا يسـتطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون).

وقـال تعـالى (يـوم ترجف الراجفـة. تتبعها الرادفـة) قـال ابن عباس رضي الله عنهمـا: الراجفة النفخة الأولى, والرادفة النفخة الثانية. ذكره البخاري في صحيحه ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر, وهكذا قال مجاهد والحسن وقتـادة والضـحاك وغـير واحد.

وقال تعالى (فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسـير. على الكافرين غير يسـير) قـال ابن عبـاس رضي الله عنهمـا: النـاقور الصور. ذكره البخـاري في صـحيحه ورواه ابن جرير وابن المنـذر وابن مردويــه, وهكــذا قــال مجاهد والشــعبي وزيد بن أســلم والحسن وقتـادة والضـحاك والربيع بن أنس والسـدي وابن زيـد. وقـال تعـالى (يا أيها النـاس اتقـوا ربكم إن زلزلة السـاعة شـيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضـعة عما أرضـعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سـكارى وما هم بسـكارى ولكن عـذاب الله شديد) والآيات في هذا كثيرة.

وفي الحـديث الصـحيح عن عبدالله بن عمـرو رضي الله عنهما أن رسـول الله قـال:«ثم ينفخ في الصـور فلا يسـمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتـا» قـال وأول من يسـمعه رجل يلـوط حـوض إبله فيصـعق ويصـعق النـاس» رواه الإمـام أحمد ومسـلم, قـال الجــوهري: الليت بالكسر صــفحة العنق وهما ليتــان. وقــال ابن منظـور في «لسـان العـرب» وفي الحـديث ينفخ في الصـور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا أي أمال صفحة عنقه.

وفي حــديث الصــور الــذي رواه ابن جرير وابن أبي حــاتم والطبراني عن أبي هريـرة رضي الله عنه أن رسـول الله قـال «إن الله لما فــرغ من خلق الســموات والأرض خلق الصــور فأعطــاه إســرافيل فهو واضــعه على فيه شــاخص ببصــره إلى العرش ينتظر متى يؤمر» قلت: يا رسـول الله وما الصـور؟ قـال «قـرن» قلت كيف هـو؟ قـال «عظيم, والـذي بعثـني بـالحق إن عظم دارة فيه كعرض السموات والأرض, ينفخ فيه ثلاث نفخات: النفخة الأولى نفخة الفــزع والثانية نفخة الصــعق والثالثة نفخة القيام لـرب العـالمين, يـأمر الله تعـالى إسـرافيل بالنفخة الأولى فيقول انفخ فينفخ نفخة الفزع فيفـزع أهل السـموات والأرض إلا من شاء الله, ويأمره فيطيلها ويـديمها ولا يفـتر وهي الـتي يقـول الله تعالى (وما ينظر هـؤلاء إلا صـيحة واحـدة ما لها من فـواق)»



الحـــديث بطوله وفيه «ثم يـــأمر الله إســـرافيل بنفخة الصـــعق فيصعق أهل السموات والأرض إلا من شـاء اللـه» قـال ابن كثـير هذا حديث مشهور وهو غريب جدا ولبعضه شواهد.

وروى الحـاكم في «مسـتدركه» عن أبي هريـرة رضي الله عنه قـال قـال رسـول الله «إن طـرف صـاحب الصـور مذ وكل به مستعد ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه كـأن عينيه كوكبـان دريـان». قـال الحـاكم: صـحيح الإسـناد ولم يخرجاه, وقال الذهبي في تلخيصه: على شرط مسلم.

وروى الإمــام أحمد وابن جرير وابن أبي حــاتم والطــبراني من حديث عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله (فـإذا نقر في الناقور) قال قال رسـول الله «كيف أنعم وصـاحب القـرن قد التقم القرن وحنى جبهته ينتظر متى يؤمربالنفخ فينفخ» فقال أصحاب رسول الله كيف نقول؟ قال «قولـوا حسـبنا الله ونعم الوكيـل, على الله توكلنـا» قـال الهيثمي: فيه عطية العـوفي وهو ضعيف وفيه توثيق لين. وقال ابن كثير هو حديث جيد.

وقد روى الحاكم في مستدركه من حديث عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل (فإذا نفخ في الصـور) قـال: رسول الله «كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القـرن وحـنى جبهته وأصغى بسمعه ينتظر متى يؤمر» قال أصحاب رسول الله كيف نقـول يا رسـول اللـه؟ قـال «قولـوا حسـبنا الله ونعم الوكيل, على الله توكلنا».

وروى الإمــام أحمد أيضا والترمــذي من حــديث عطية عن أبي ســعيد رضي الله عنه قـــال: قـــال رســـول الله «كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن واستمع الإذن مـتى يـؤمر بـالنفخ فينفخ» فكأن ذلك ثقل على أصـحاب النـبي فقـال لهم «قولـوا حسـبنا الله ونعم الوكيـل, على الله توكلنـا» قـال الترمـذي هـذا حديث حسن. وصححه ابن حبان, ورواه الحاكم في مستدركه من حديث أبي صالح عن أبي سعيد رضي الله عنه فذكره بنحوه.

وروى الإمام أحمد أيضاً والطـبراني عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله «كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وأصغى السمع متى يؤمر» قال فسـمع بـذلك أصحاب النبي فشق عليهم فقال رسول الله «قولـوا حسـبنا الله ونعم الوكيل». قال الهيثمي: رجاله وثقوا على ضعف فيهم.

وروى الإمــام أحمد أيضـــاً عن أبي مرية عن النــبي – أو عن عبدالله بن عمـــرو رضي الله عنهما عن النـــبي صـــلى الله عليه وســـلم – قـــال: النفاخـــان في الســـماء الثانيـــة, رأس أحـــدهما بالمشـــرق ورجلاه بـــالمغرب, أو قـــال: رأس أحـــدهما بـــالمغرب



ورجلاه بالمشــرق ينتظــران مــتى يــؤمران ينفخــان في الصــور فينفخـان) قـال الهيثمي: رواه أحمد على شك فـإن كـان عن أبي مرية فهو مرسل ورجاله ثقـات؛ وإن كـان عن عبدالله بن عمـرو رضي الله عنهما فهو متصل مسند ورجاله ثقات.

وروى ابن ماجه والبزار والحـاكم عن أبي سـعيد الخـدري رضي الله عنه أن النبي قال «ملكان موكلان بالصـور ينتظـران مـتى يؤمران فينفخان».

وروى الطبراني في الأوسط عن عبدالله بن الحارث قال: كنت عند عائشة رضي الله عنها وعنـدها كعب الحـبر فـذكر إسـرافيل فقالت عائشة رضي الله عنها يا كعب أخبرني عن إسرافيل فقال كعب: عنـدكم العلم قـالت أجل قـالت فـأخبرني قـال له أربعة أجنحة جناحان في الهواء وجناح قد تسربل به وجناح على كاهلـه, والقلم على أذنه فإذا نـزل الـوحي كتب القلم ثم درست الملائكة وملك الصور جـاث على إحـدى ركبتيه وقد نصب الأخـرى فـالتقم الصور محني ظهره, وقد أمر إذا رأى إسرافيل قد ضم جناحه أن ينفخ في الصـور. فقـالت عائشة رضي الله عنهـا: هكـذا سـمعت رسول الله يقول, قال المنذري والهيثمي: إسناده حسن.

وروى الطبراني أيضا عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: يقوم ملك بالصور بين السماء والأرض فينفخ فيــه؛ فلا يبقى خلق من خلق الله إلا مات إلا من شاء ربك.

وروى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن حبـان في صـحيحه والحــاكم في مســتدركه عن عبدالله بن عمــرو رضي الله عنهما قال قال أعرابي يا رسول الله ما الصـور قـال:«قـرن ينفخ فيـه» قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح, وصححه الحاكم والذهبي.

وذكر البخــاري في صـحيحه عن مجاهد أنه قــال الصــور كهيئة البـوق. ورواه عبد بن حميد بإسـناده عن مجاهد أنه قـال الصـور شيء كهيئة البوق.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله :«ما بين النفخـتين أربعـون» قـالوا: أربعـون شـهرا؟ قـال أبيت, قالوا: أربعون سنة؟ قال أبيت.

وبما ذكرته من الآيـات والأحـاديث يعلم قطعا أن خـراب الـدنيا وقيام الساعة إنما يكون بأمر سـماوي لا صـنع للبشر فيـه, ويعلم قطعا بطلان ما يتخرصه المتخرصــون من خــراب الــدنيا وقيــام الساعة على أيدي بني آدم.

فصل

وقال المصنف في صفحة (18) ما نصه:



ومنها التليفون والتلغراف والراديو, ويشير إلى ذلك قوله تعـالى (ويقذفون بالغيب من مكان بعيد), بل هو ظاهر فيه.

والجواب عن هذا من وجوه:

أحـــدها: أن يقـــال هـــذا من نمط ما قبله من التكلف والتعسف وليس في الآية الـــتي ذكرها ما يشـــير إلى التليفـــون والتلغـــراف والراديو بوجه من الوجوه, فضلا عن أن يكون ظاهراً في ذلك.

الوجه الثـاني: أن الآية واردة مع الآيـات قبلها في تكـذيب كفـار قريش للنـبي ولما جـاء به من عند اللـه, وسـياق الآيـات واضح في ذلك قـال الله تعـالى (وإذا تتلى عليهم آياتنا قـالوا ما هـذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقـالوا ما هـذا إلا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مـبين – إلى قوله – وقد كفروا به من قبل ويقـذفون بـالغيب من مكـان بعيد).

قال مالك عن زيد بن أسلم «ويقذفون بالغيب» قال: بالظن.

قال ابن كثير: هو كما قال تعالى (رجما بالغيب) فتـارة يقولـون شاعر, وتارة يقولون كاهن, وتارة يقولون سـاحر, وتـارة يقولـون مجنـون, إلى غـير ذلك من الأقـوال الباطلـة, ويكـذبون بـالبعث والنشور والمعاد, ويقولون إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين.

قـال قتـادة ومجاهـد: يرجمـون بـالظن لا بعث ولا جنة ولا نـار. وذكر البغوي عن مجاهد أنه قال يرمون محمدا بالظن لا بـاليقين, وهو قولهم سـاحر وشـاعر وكـاهن, قـال ومعـنى الغيب هو الظن لأنه غاب علمه عنهم. والمكان البعيد: بعدهم عن علم ما يقولـون والمعنى يرمون محمدا من حيث لا يعلمون.

الوجه الثالث: أن التخاطب بواسـطة التليفـون والتلغـراف ليس هو من القذف بالغيب كما توهمه المصنف, لأن القذف بالغيب هو القول بالظن والحدس من غـير علم ويقين, والتخـاطب بواسـطة التليفون والتلغراف ليس كذلك, وإنما هو في الغالب مخاطبة عن علم ويقين بما يخـاطب به المـرء صـاحبه, وهو في الحقيقة من المخاطبة مشافهة, وإن كان ذلك بواسطة الآلة الكهربائية.

ونشر الأخبار من الإذاعـات هو من هـذا البـاب, إلا ما يـذاع فيها من النشرات الجوية فهي من الرجم بالغيب, ,وكذلك ما يقـال بلا علم ويقين فكله من القذف بالغيب.

قال الجوهري: الرجم أن يتكلم الرجل بالظن قال تعـالى (رجما بالغيب). وقال الراغب الأصفهاني: ويستعار الرجم للرمي بـالظن والتوهم نحو (رجما بالغيب) وقال الشاعر:

.... وما هو عنها بالحديث المرجم

فصل



وذكر المصنف في صفحة (19) أن العلم انتشر بسبب الدروس والمحاضـرات والمقـالات الـتي تـذاع بـالراديو فيسـمعها الرجـال والنساء والكبار والصغار والعبيد والأحرار.

والجـواب أن يقـال ليس الأمر كما زعمه المصـنف من انتشـار العلم بسـبب الراديـو, وإنما انتشـرت بسـببه المعـازف والأغـاني الخليعة والمهازل السخيفة وغيرها من أنواع الفتن والشرور التي هي أضر شيء على الدين والأخلاق, فهذه هي الـتي يتلقاها أكـثر المسـتمعين إلى الراديو من رجـال ونسـاء وكبـار وصـغار, وهي الرائجة عند متخذيه إلا من شاء الله منهم.

ولا ينكر أنه ينشر في بعض الأحيـان من بعض الإذاعـات دروس ومقـالات ومحاضـرات علمية ولكن لا يسـتمع إليها إلا القليل من متخذي الراديو والمستمعين إليه, وأما الأكثرون فلا رغبة لهم فيها ولا في سماعها, فتراهم عاكفين على استماع المعازف والأغـاني والمهازل في غـالب أوقـاتهم, فـإذا جـاءتهم القـراءة أو الـدروس والمحاضـــرات العلمية أغلقـــوا الراديو عنها وأداروه إلى ما هم مفتونون به من مزامير الشيطان وصوته الفاجر.

وبالجملة فالأكثرون في زماننا قد أعرضوا عن العلم النـافع إلى ما لا خـير فيه من الإذاعـات والجرائد والمجلات وما أشـبهها من الكتب العصرية, فهذه هي التي يتنافس فيها الأكثرون, وعليها في غالب الأوقات يعكفـون, وبسـبب ذلك قل العلم النـافع وهو العلم الموروث عن سيد المرسلين صـلوات الله وسـلامه عليـه, وظهر الجهل وفشا في جميع الأقطـار, فلا حـول ولا قـوة إلا بالله العلي العظيم.

فصل

وقال المصنف في صفحة (20) ما نصه:

ومن الأمـور العظـام الـتي رأيناها كما قـال الغواصـات, وقد ذكرها الله تعـــالى أيضا في قوله (قل هو القـــادر على أن يبعث عليكم عـذابا من فـوقكم أو من تحت أرجلكم) الآيـة, وقد قـدمنا الحـديث الـذي خرجه أحمد في مسـنده من حـديث سـعد بن أبي وقاص أن النبي سـئل عن هـذه الآية فقـال «أما انها كائنة ولم يأت تأويلها بعـد» فجـاء تأويلها بظهـور الطـائرات الرامية للقنابل والألغام والغواصات.

ولما لم يكن في زمن المفسرين شيء من ذلك فسروا العذاب من فـوق بـالملوك, ومن تحت الأرجل بالعبيـد, ولا يخفى بطلانـه؛ ولكنهم معذورون لأنهم لم يروا ما يصـلح أن تطبق عليه الآية كما رأينا نحن.



والجــواب عن هــذا قد تقــدم قريبــاً (صــفحة 22) عند كلام المصنف على الطائرات الحربية.

وقد بينت هنــاك أن المــراد بقوله تعــالى (عــذابا من فــوقكم) الرجم من السماء (أو من تحت أرجلكم) الخسف. وهذا قول أبي بن كعب وأبي العالية ومجاهد وســـعيد بن جبـــير وأبي مالك والسدي وابن زيد وغـير واحد من المفسـرين, وهو أصح القـولين في تفسـير الآيـة, ويـدل له ما جـاء من الأخبـار بوقـوع القـذف والخسف والمسخ في آخر هـذه الأمـة. وهـذا هو الـذي يصـلح أن تطبق عليه الآية, لا على التكلف الـذي لا مسـتند لقائله إلا مجـرد رأيه.

فصل

وفي صفحة (20 – 22) تأول المصنف قول النبي «لا تقـوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس وحتى تكلم الرجل عذبة سـوطه وشـراك نعلـه, وتخـبره فخـذه بما أحـدث أهله من بعـده» على السـيرك الـذي تسـتخدم فيه الأسـود والنمـور والفيلة وغيرها من السـباع في الألعـاب العجيبة والحركـات الغريبـة, وإنها تخـاطب فتفهم, وتــؤمر وتنهى فتــأتمر وتنتهي حسب إرادة اللاعب بهــا, وعلى الكلاب الــتي تتخذ لاستكشــاف أصــحاب الجــرائم وعلى الفوتوغراف وآلة التسجيل.

والجواب: أن يقال إن ظاهر الحديث يدل على أن السـباع تكلم الإنس في آخر الزمان كلاماً حقيقياً كما وقع ذلك في زمن النـبي لأهبان بن أوس رضي الله عنه حين كلمه الذئب كلامـاً حقيقيـاً وأخبر النـبي بـذلك فصـدقه وأمـره أن يحـدث به النـاس وقـال النبي «إنها امارة من امارات بين يدي الساعة» والحديث بذلك رواه الإمام أحمد في مسنده بإسناد صحيح من حديث أبي سـعيد الخدري رضي الله عنه, وروى الترمذي بعضه وقـال: هـذا حـديث حسن غــريب صــحيح, ورواه الإمــام أحمد أيضا من حــديث أبي هريرة رضي الله عنه, ورواه الـبيهقي من حـديث ابن عمر رضي الله عنهما, و(بنو أهبان) يقال لهم: بنو مكلم الذئب.

وفي الصحيحين ومسند الإمـام أحمد عن أبي هريـرة رضي الله عنه قال صلى بنا رسول الله صـلاة ثم أقبل علينا بوجهه فقـال «بينا رجل يسوق بقـرة إذ ركبها فضـربها قـالت إنا لم نخلق لهـذا إنما خلقنا للحراثة» فقال الناس سبحان الله بقـرة تتكلم؟ فقـال «فــإني أومن بهــذا أنا وأبو بكر وعمــر» وما هما ثم, «وبينا رجل في غنمه إذ عـــدا عليها الـــذئب فأخذ شـــاة منها فطلبه فأدركه فاستنقذها منه فقال: يا هذا استنقذتها مـني فمن لها يـوم السـبع



يـوم لا راعي لها غـيري؟» قـال النـاس سـبحان الله ذئب يتكلم؟ فقال «إني أومن بذلك وأبو بكر وعمر» وما هما ثم.

وروى البيهقي عن أبي عبـدالرحمن السـلمي سـمعت الحسـين بن أحمد الرازي سمعت ابا سليمان المقـري يقـول: خـرجت في بعض البلـــدان على حمـــار فجعل الحمـــار يحيد بي عن الطريق فضـربت راسه ضـربات فرفع رأسه إلي وقـال لي اضـرب يا أبا سـليمان فإنما على دماغك هو ذا يضـرب, قـال قلت لـه: كلمك كلاما يفهم؟ قال: كما تكلمني وأكلمك.

والمقصـود هنا أن تكليم السـباع للإنس فيه خـرق للعـادة وهو مستغرب جدا ولهذا تعجب الصحابة رضي الله عنهم لما أخــبرهم النبي بكلام البقرة والذئب واستغربوا ذلك.

وأما ما ذكره المصنف من استخدام السباع في الألعاب العجيبة والحركــات الغريبـــة, وإنها تــؤمر وتنهى حسب إرادة اللاعب بها فليس ذلك بمسـتغرب منها كما يسـتغرب تكليمها للإنس بـالكلام الحقيقي.

وكـذلك استكشـاف الكلاب لأصـحاب الجـرائم ليس بمسـتغرب منهـا, وقد ذكر النـاس عنها قـديما وحـديثا من الحكايـات العجيبة الدالة على فهمها وقوة إدراكها شيئا كثيرا.

وإنما المسـتغرب منها أن تكلم النـاس بـالكلام الحقيقي كتكليم الناس بعضهم بعضـا, وهـذا لم يوجد إلى الآن, وسـيكون ذلك كما أخبر به الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه.

والقول في تكليم عذبة السوط وشراك النعل والفخذ لبـني آدم كالقول في تكليم السباع لهم.

وأما تأويل المصـــنف لـــذلك بـــالفوتوغراف وآلة التســجيل فهو تأويل بعيد جدا, وبيان ذلك من وجوه:

أحدها: أن ظـاهر الحـديث يـدل على أن الكلام يكـون من نفس العذبة والشـــراك والفخذ لا من آلة تجعل للكلام, وفي تأويل ذلك بـالفونوغراف وآلة التسـجيل صـرف للحـديث عن ظـاهره بغـير دليل.

الوجه الثـاني: أن تكليم العذبة والشـراك والفخذ لبـني آدم فيه خرق للعادة وهو مستغرب جدا ولهذا يكـون من أمـارات السـاعة بخلاف الكلام من الفونـــــوغراف وآلة التســـــجيل فإنه ليس بمســـتغرب كما يســـتغرب الكلام من نفس العذبة والشـــراك والفخذ.

الوجه الثالث: أن النطق من الجمادات قد وجد في زمان النـبي , كما في الحديث الصحيح عن جابر بن سـمرة رضي الله عنهما قال قال رسول الله «إني لأعرف حجرا بمكة كـان يسـلم علي



قبل أن أبعث, إني لأعرفه الآن» رواه الإمـــــــام أحمد وأبو داود الطيالسي ومسلم, والترمذي وقال هذا حديث حسن غريب.

وروى الترمذي أيضا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال كنت مع النــبي بمكة فخرجنا في بعض نواحيهــا, فما اســتقبله جبل ولا شــجر إلا وهو يقــول الســلام عليك يا رســول الله قــال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله أخذ في كفه ســبع حصيات أو تسع حصيات فسبحن حــتى ســمعت لهن حنينا كحــنين النحــل, ثم وضــعهن فخرســن, ثم أخــذهن فوضــعهن في كف أبي بكر فسبحن حــتى ســمعت لهن حنينا كحــنين النحــل, ثم وضــعهن فخرسن, ثم تناولهن فوضعهن في يد عمر فسبحن حــتى ســمعت لهن حنينا كحـــنين النحـــل, ثم وضـــعهن فخرســـن, ثم تنـــاولهن فوضعهن في يد عثمان فســبحن حــتى ســمعت لهن حنينا كحــنين النحل, ثم وضعهن فخرسن, فقال النــبي «هــذه خلافة النبــوة» رواه البيهقي.

وإذا كان النطق من الجمادات موجــودا في زمن النــبي فغــير مستبعد أن يكون ذلك في آخر الزمان أيضا.

وكما أن في تسليم الجمادات على النــبي وتســبيحها في يــده وأيدي الخلفاء الراشدين معجزة للنبي . فكذلك في نطق العذبة والشراك والفخذ معجزة للنبي .

وأيضا فقد قال الله تعالى (يوم تشــهد عليهم ألســنتهم وأيــديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) وقال تعالى (حتى إذا ما جاؤوها شــهد عليهم ســمعهم وأبصــارهم وجلــودهم بما كــانوا يعملــون. وقــالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي انطق كل شيء) الآية.

وقال تعــالى (يومئذ تحــدث أخبارهــا) وفي الحــديث الصــحيح أن رسول الله قال «أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم, قــال: فــإن أخبارها أن تشــهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها؛ تقول: عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا, فهذه أخبارهــا» رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه, وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

وإذا كـــانت الجـــوارح والأرض تنطق يـــوم القيامة فلا يســـتبعد النطق من نفس العذبة والشــراك والفخذ في آخر الزمــان, والله على كل شيء قدير.

فصل

وفي صفحة (23) ذكر المصنف ما يفعله سائر الــدول من جمع السباع وسائر الوحوش في البســاتين للفرجة عليهــا. قــال: وذلك



من اشراط الساعة وعلامات قربها, حتى إن الله تعالى ذكر ذلك في القرآن في اشراط أخرى ضمها إلى ما سيقع بعد قيامها, فقال تعالى (وإذا الوحوش حشرت) أي جمعت والحشر الجمع والاختلاط فقد حشرت الوحوش وجمعت في البساتين المعدة لذلك كما قال الله تعالى, وهو فعل محرم منهي عنه شرعا – إلى أن قال – ويكفي أن الله تعالى جعل ذلك من أشراط الساعة وأنها قائمة عند وجوده فتعلم كل نفس ما أحضرت.

والجواب عن هذا من وجوه:

أحدها: أن الآية من أول سورة التكوير ليست واردة في أشراط الساعة وإنما هي في أهوال يوم القيامة. وقد تقدم إيضاح ذلك (في ص 13) في الكلام على قوله تعالى (وإذا العشار عطلت).

الوجه الثاني: أن ما ذهب إليه في معنى الآية الكريمة مردود, لأنه من تفسير القرآن بمجرد الرأي وذلك لا يجوز. وقد تقدم أن تفسير القرآن بمجرد الرأي حرام ومتوعد عليه بالوعيد الشديد.

الوجه الثالث: أن ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد من التابعين فسروا الآية بغير ما ذهب إليه المصنف في معناها, والعمدة على تفسيرهم لا على رأي المصنف ولا على رأي غيره من المتكلفين.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: حشر البهائم موتها, وحشر كل شيء الموت غير الجن والإنس فإنهما يوقفان يوم القيامة. رواه سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والحاكم وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه, ووافقه الذهبي في تلخيصه. وكذا قال عكرمة والضحاك: حشرها موتها.

وروى ابن جرير أيضا حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن سفيان عن أبيه عن أبي يعلى عن الربيع بن خثيم (وإذا الوحوش حشرت) قال: أتى عليها أمر الله. قال سفيان قال أبي فذكرته لعكرمة فقال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: حشرها موتها.

وروى ابن أبي حاتم وابن المنذر عن ابن عباس رضي الله عنهما. (وإذا الوحوش حشرت) قال يحشر كل شيء حتى إن الذباب ليحشر. قال ابن كثير: وكذا قال الربيع بن خثيم والسدي وغير واحد.

وقال قتادة في تفسير هذه الآية: إن هذه الخلائق موافية يوم القيامة فيقضي الله فيها ما يشاء. رواه عبد بن حميد وابن أبي حاتم. وقال البغوي في تفسيره:(وإذا الوحوش) يعني دواب البر (حشرت) جمعت يوم البعث ليقتص لبعضها من بعض.

قلت: ويشهد لهذا ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رأى شاتين تنتطحان فقال:«يا



أبا ذر هل تـدري فيم تنتطحـان؟ قـال: لا, قـال: لكن الله يـدري وسيقضي بينهما». ورواه عبدالرزاق وابن جرير بنحوه.

وروى عبـدالرزاق أيضا عن أبي هريـرة رضي الله عنه قـال: يحشر الخلق كلهم يـوم القيامـة, البهـائم والـدواب والطـير وكل شيء, فيبلغ من عـدل الله يومئذ أن يأخذ للجمـاء من القرنـاء ثم يقول كوني ترابا فلذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا. وقد روي نحو هذا مرفوعا في حديث الصـور الـذي رواه الطـبراني وغـيره, وهو حديث طويل مشهور.

والمقصـود ههنا بيـان خطأ المصـنف فيما ذهب إليه في معـنى قوله تعالى:(وإذا الوحوش حشرت), وبيان معنى حشر الوحـوش وأنـه: موتها كما قاله ابن عبـاس رضي الله عنهما وغـيره, أو جمعها يـوم القيامة ليقتص لبعضـها من بعض كما قاله آخـرون والله أعلم.

الوجه الرابع: أن ظاهر الآية الكريمة يـدل على حشر الوحـوش كلها, والوحوش الآن منتشرة في أرجاء الأرض, والـذي قد جمعته الـدول في بسـاتينها نـزر يسـير من بعض أنـواع الوحـوش لا من كلهـا, ومع هـذا يقـول المصـنف: إنها قد جمعت في البسـاتين المعدة لذلك, وهذا قول ظاهر البطلان.

فصل

وقال المصنف في صفحة (24 – 25) ما نصه:

ومن ذلك بخار الوقود من البـترول والجـاز الـتي تسـتخرج الآن من الأرض فتضـرم وتوقد في الـدنيا بأسـرها, في السـيارات والبوابـير البرية والبحرية والطـائرات والموتـورات والفبـارك الكبيرة والصغيرة وماكينـات الطحن والخـبز والنجـارة وغـير ذلك مما يبلغ مئـات الأصـناف, وبوابـير الطبخ في الـبيوت وموتـورات الإنارة العامة والخاصة وغير ذلك.

وكله مذكور في أشراط الساعة, وأخـبر النـبي بمعادنه وعين مواضعها وسمى البترول ذهبا كما يسمونه اليوم بالذهب الأسـود, ومن العجيب أنه ورد في بعض طرق الحديث تسـميته بكنـز ليس من ذهب ولا فضة.

قـال الله تعـالى (والطـور. وكتـاب مسـطور. في رق منشـور. والـبيت المعمـور. والسـقف المرفـوع. والبحر المسـجور) وقـال تعالى (وإذا البحار سجرت) أي أضـرمت نـاراً كما قـال علي وابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعبيد بن عمـير وجماعة من أئمة التفسير من السلف.

وغير خاف أن البـترول بحـار مودعة في الأرض. وقد قـدمنا أن أبي بن كعب وابن عبـاس وأبا العالية وجماعة من السـلف قـالوا



إن هـذه في الـدنيا قبل يـوم القيامـة, قـالوا: ذكر الله تعـالى في السورة الكريمة اثنتي عشرة علامة, ستة منها في الـدنيا, وسـتة منها في الآخرة, فالتي في الدنيا آخرها (وإذا البحار سجرت), وما بعدها فهو في الآخرة, كما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم.

وإذ هي في الـدنيا وإنها من أشـراط السـاعة, وهي بحـار من الزيوت أودعها الله في بطن الأرض منذ خلق الله الدنيا, ولم يهيأ استكشـافها واسـتخراجها من الأرض لإضـرامها وإيقادها إلا في وقتنا هذا الذي ظهرت فيه تلك الأشراط السـتة المـذكورة كلها – كما بيناه في قوله تعـالى (وإذا العشـار عطلت) بالسـيارات (وإذا الوحوش حشرت) في بساتين الحيوانات, وسـنبين البـاقي قريبـاً –: تعين أنها المراد.

وأيد بذلك أن البترول يسمى بالذهب الأسود, وأن النبي أخبر بـه, وأن من المواضع الـتي سـيظهر فيها أرض العـراق وأرض فـارس وأرض نجد وما والاهـا, كما ورد أنه قـريب من الحجـاز, وورد تسـميته بكنـز ليس بـذهب ولا فضة فلم يبق شك في أنه المراد.

ففي صـحيح البخـاري عن أبي هريـرة قـال قـال رسـول الله «يوشك الفرات أن ينحسر عن كنـز من الـذهب فمن حضـره فلا يأخذ منه شيئا», ورواه مسـلم في صـحيحه من وجه آخر عن أبي هريرة بلفظ «لا تقوم الساعة حـتى ينحسر الفـرات عن جبل من ذهب تقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون».

والجواب عن هذا من وجوه:

أحـدها: أن الآيـات الست من أول سـورة التكـوير ليست واردة في أشراط الساعة كما زعم ذلك المصنف فيها وتأول لأجل ذلك القـرآن على غـير تأويلـه, كما تقـدم ذلك في مواضع من كلامه وكما سيأتي في مواضع اخر منه.

وأما ما روي عن أبي بن كعب وابن عباس وأبي العالية أن ست آيات منها في الـدنيا, فـالمراد أنها من جملة الأهـوال الـتي تكـون عند قيام الساعة والناس يشاهدون ذلـك, لا أنها تكـون قبل قيـام الساعة بزمن طويل كما توهمه المصنف.

قال الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: ست آيات قبل يوم القيامة: بينما النـاس في أسـواقهم إذ ذهب ضوء الشمس؛ فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجـوم, فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت واضـطربت واختلطت؛ ففزعت الجن إلى الإنس والإنس إلى الجن واختلطت الدواب والطير والوحوش فمـاجوا بعضـهم في بعض فـذلك قوله (وإذا الوحـوش حشـرت) قـال: اختلطت (وإذا العشـار عطلت)



قال: أهملها أهلها. (وإذا البحـار سـجرت) قـال: قـالت الجن نحن نأتيكم بالخبر – قال – فانطلقوا إلى البحر فإذا هو نار تتأجج, قال فبينما هم كـذلك إذ تصـدعت الأرض صـدعة واحـدة إلى الأرض السـابعة السـفلى وإلى السـماء العليـا, قـال فبينما هم كـذلك إذ جـاءتهم ريح فأمـاتتهم. رواه ابن أبي الـدنيا وابن جرير وابن أبي حاتم, وسياقه ظاهر فيما ذكرنـا, وفيه رد لما زعمه المصـنف في تأويل الآيات الست من أول سورة التكوير.

الوجه الثـاني: أن ظـاهر الآيـتين الكريمـتين وهما قوله تعـالى (والبحر المسجور) وقوله تعالى (وإذا البحـار سـجرت) يـدل على أن البحر نفسه هو الذي يسجر فيكون كله ناراً, وبحار الزيوت لم تسجر بالنار, وإنما يضرم ما يستخرج منها وهذا لا يكـون تسـجيراً لها. وعلى هـذا فاسـتدلال المصـنف بـالآيتين على ما ذهب إليه لا وجه له, وهو استدلال في غاية البعد والتكلف.

الوجه الثالث: أن البحر إنما يسجر عند قيـام السـاعة, كما قاله أبي بن كعب رضي الله عنه وغيره. وقيل: إنه يسجر يـوم القيامة روي ذلك عن علي وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وعبيد بن عمير وغيرهم. وهـذا يـرد ما زعمه المصـنف من أنها قد سـجرت الآن.

الوجه الرابع: أن البحر الـذي يسـجر عند قيـام السـاعة أو يـوم القيامة هو البحر الــذي على وجه الأرض, وقد تقــدم ما روي عن أبي بن كعب رضي الله عنه في ذلك وروى ابن أبي حـــــاتم عن شـيخ من بجيلة عن ابن عبـاس رضي الله عنهما قـال: يكـور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ويبعث الله ريحــاً دبوراً فيضرمها ناراً. قال ابن كثير: وكذا قال عامر الشعبي وهــذا يرد ما زعمه المصنف في بحار الزيت.

الوجه الخـامس: أنه لم يـؤثر عن النـبي ﷺ أنه سـمى البـترول ذهبا, وقول المصنف أن النبي ﷺ سمى البـترول ذهبـاً, من القـول عليه ﷺ بما لم يقله, وذلك حرام وكبيرة من الكبائر.

الوجه السادس: أن البترول ليس بذهب حقيقة ولا مجازا.

وأما تسمية بعض الناس له بالـذهب الأسـود فليس مـرادهم أنه نوع من أنواع الذهب, وإنما يقصـدون أنه يحصل من ثمنه الـذهب الكثـير, فلـذلك يطلقـون عليه اسم الـذهب الأسـود اعتبـاراً بما يستثمر منه.

الوجه السابع: أن الأثر الذي ذكره المصنف في تسمية البـترول بكنـز ليس من ذهب ولا فضة ينقض ما زعمه من تســـــميته في الحديث بالذهب.



الوجه الثامن: أن الذي جاء في الحديث الصحيح هو حسر الفرات عن كنز من ذهب, وفي الرواية الأخرى عن جبل من ذهب, ومن المعلوم أن بحور الزيت ليست في نهر الفرات وإنما هي في باطن الأرض, وكثير منها يبعد عن نهر الفرات بمسافة بعيدة.

الوجه التاسع: أن الزيت من المعادن السائلة, والذي أخبر النبي بانحسار الفرات عنه هو الذهب المعروف عند الناس وهو من المعادن الجامدة, ولهذا جاء في بعض الروايات في الصحيح أنه ينحسر عن جبل من ذهب. وهذا يرد تأويل من تأوله على معدن سائل ليس بذهب ولا يشبه الذهب.

الوجه العاشر: أن النبي أخبر أن الفرات يحسر عن جبل من ذهب, أي ينكشف لذهاب مائه فيظهر الجبل بارزاً على وجه الأرض, وهذا لم يكن إلى الآن وسيكون فيما بعد بلا ريب. وبحور الزيت لم تنحسر الأرض عنها وإنما يستخرجها الناس بالتنقيب عنها من مسافة بعيدة في بطن الأرض, وأين هذا من ذاك؟

فصل

وفي صفحة (25 – 26):

جزم المصنف أنه لا بد من وقوع الحرب من أجل بترول العراق وإيران, وأنها سوف تكون بالقنابل الذرية المبيدة للبشر.

والجواب:

أن يقال هذا من الرجم بالغيب وقد قال الله تعالى (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله). والذي سيقع بلا شك هو الاقتتال على جبل الذهب إذا حسر الفرات عنه, لأن النبي أخبر بذلك, وما أخبر بوقوعه فهو كائن لا محالة.

فصل

وفي صفحة (26):

ذكر المصنف ما رواه الإمام أحمد من حديث رجل من بني سليم سمع النبي قال:«ستكون معادن يحضرها شرار الناس».
ثم قال المصنف: فهذه المعادن هي آبار البترول التي ما ظهرت إلا قرب قيام الساعة الذي هو وقتنا هذا.

قال ويؤكد ذلك قوله «يحضرها شرار الناس» فإن معادن البترول لا يستخرجها ويحضرها إلا الكفار الذي هم شرار الناس وقوله «يحضرها» هو بضم الياء وفتح الحاء وكسر الضاد المشددة أي يهيئها للاستعمال ويجعلها حاضرة لذلك صالحة لما حضرت له.

والجواب:



أن يقال أن هذا الحديث ضعيف لأنه من رواية رجل من بني سليم عن جده, ورجل من بني سليم: مجهول وعلى تقدير صحته فليس المراد به آبار البترول بخصوصها بل هو عام لها ولمعادن الذهب والفضة وغيرها من المعادن الأرضية, ويدل على ذلك قوله في حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما:«تخرج معادن مختلفة» الحديث.

وقوله يحضرها شرار الناس هو بفتح الياء وإسكان الحاء وضم الضاد المخففة أي يأتي إليها ويسكن عندها شرار الناس وقد جاء ذلك صريحا فيما ذكره المصنف من حديث عبدالله بن عمرو, وأبي هريرة رضي الله عنهما: فأما حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما فقال فيه «تخرج معادن مختلفة معدن منها قريب من الحجاز يأتيه من أشرار الناس» رواه الحاكم في مستدركه, وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه فقال فيه قال رسول الله «لا تقوم الساعة حتى تظهر معادن كثيرة لا يسكنها إلا أراذل الناس» رواه الطبراني في الأوسط.

والمراد بأراذل الناس الكفار وفساق المسلمين كما هو الواقع الآن, وليس المراد به الكفار خاصة كما زعم ذلك المصنف.

ثم إن المصنف غيَّر معنى الحديث بما فسر به قوله «يحضرها» ليوافق ما ذهب إليه, ولا يخفى أن ذلك من تحريف الكلم عن مواضعه.

فصل

وقال المصنف في صفحة (27) ما نصه:

ويشير إلى البترول أيضا قوله تعالى (إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها) الآية. فإنها أخرجت ملايين الأطنان من البترول والغاز وهو أعظم ثقل فيها عندما زلزلت أي حركت بالآلات وفتح فيها آبار البترول والغاز, (وقال الإنسان مالها) تعجباً مما تخرجه من ذلك, فعند ذلك تحضر الساعة.

أو (إذا زلزلت الأرض زلزالها) الموعود به وهو الزلزال الكثير الذي يحدث آخر الزمان كما قال النبي :«وتكثر الزلازل» كما في أحاديث صحيحة متعددة. وقد صارت تحدث بكثرة في هذا الوقت الذي أخرجت فيه الأرض أثقالها من البترول. (وقال الإنسان مالها) يكثر زلازلها؟

وهذا كله واقع فيترقب ما بعده فإن الزمان بالنسبة إلى علم الله تعالى شيء واحد. والله تعالى يجمع بين الأمور المتباعدة فيسوقها مساقا واحداً لتحقق الجميع وحضوره في علمه سبحانه وتعالى.

والجواب:



أن يقال هذا من التخبيط في القرآن وتأوله على غير تأويله, وقد قدمنا أن ذلك حرام ومتوعد عليه بالوعيد الشديد.

ويقال أيضاً إن السورة واردة في قيام الساعة وما يكون بعد ذلك في يوم القيامة وسياقها يدل على ذلك, وليس فيها ما يدل على خروج البترول بوجه من الوجوه.

قال البغوي في تفسيره (إذا زلزلت الأرض زلزالها) حركت الأرض حركة شديدة لقيام الساعة (وأخرجت الأرض أثقالها) موتاها وكنوزها فتلقيها على ظهرها (وقال الإنسان مالها) قيل: في الآية تقديم وتأخير تقديره: يومئذ تحدث أخبارها فيقول الإنسان مالها: أي تخبر الأرض بما عمل عليها.

وقال ابن كثير في تفسيره قال ابن عباس رضي الله عنهما (إذا زلزلت الأرض زلزالها) أي تحركت من أسفلها (وأخرجت الأرض أثقالها) يعني ألقت ما فيها من الموتى قاله غير واحد من السلف. وهذه كقوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم) وكقوله (وإذا الأرض مدت. وألقت ما فيها وتخلت).

وروى عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما (إذا زلزلت الأرض زلزالها) تحركت من أسفلها (وأخرجت الأرض أثقالها) قال: الموتى (وقال الإنسان مالها) قال: يقول الكافر مالها (يومئذ تحدث أخبارها) قال لها ربك قولي فقالت.

وروى الفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر عن مجاهد في قوله (وأخرجت الأرض أثقالها) قال: من في القبور. وروى ابن أبي حاتم عن عطية (وأخرجت الأرض أثقالها) قال ما فيها من الكنوز والموتى.

فهذه أقوال المفسرين في تفسير السورة وفيها رد لقرمطة المصنف وإلحاده.

فصل

وقال المصنف في صفحة (28) ما نصه:

ومن ذلك زوال الجبال عن أماكنها للدواعي الداعية إلى ذلك, من تعبيد الطرق للبوابير الحديدية والسيارات وتوسيع الطرق وضواحي المدن وغير ذلك, مما هو واقع الآن في كثير من أقطار الأرض كما هو مشاهد ومعلوم, قال الله تعالى (وإذا الجبال سيرت) وقد قدمنا أن هذا في الدنيا قبل قيام الساعة وتسييرها زوالها من أماكنها.



ثم ذكر ما رواه البزار والطبراني من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه أن رسول الله قال «لا تقوم الساعة حتى تروا أموراً عظاما لم تكونوا ترونها, وحتى تزول الجبال عن أماكنها».

قال وروى أحمد من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي عن عيسى عليه السلام ليلة الإسراء في ذكر أمارات الساعة وفي آخر الحديث قوله «ثم تنسف الجبال وتمد الأرض مد الأديم – ثم قال – ففيما عهد إلي ربي عز وجل أن ذلك إذا كان كذلك فإن الساعة كالحامل المتم لا يدري أهلها متى تفجأهم بولادها ليلاً أو نهاراً».

فهذا النسف غير المذكور في قوله تعالى (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً) الآية فإن ذلك بعد قيام الساعة يوم تصير الجبال كالعهن المنفوش, وهذا قبل قيام الساعة بل هو من أشراطها وعلاماتها الدالة على قرب قيامها. ويؤيد هذا وقوع هذا النسف كل يوم في سائر الدنيا بالألغام والحفر بالآلات ومد الأرض ذات الجبال مد الأديم حتى ينزل عيسى عليه السلام فيجدهم على ذلك.

والجواب عن هذا من وجوه:

أحدها: أن يقال إن فتح الطرق في الجبال لا يكون إزالة للجبال ونسفاً وتسييراً لها ومداً للأرض مد الأديم, وهذا لا يخفى على من له أدنى عقل ومعرفة. واستدلال المصنف على ما ذهب إليه بقول الله تعالى (وإذا الجبال سيرت) وبما في حديث سمرة وحديث ابن مسعود رضي الله عنهما لا وجه له وهو استدلال في غاية البعد والتكلف.

الوجه الثاني: أن يقال إن جبال الأرض باقية على حالها مع فتح الطرق فيها. ولو أنها قد نسفت وسيرت ومدت الأرض مد الأديم – كما زعمه المصنف – لما بقي في الأرض جبل بالكلية. بل إنا نقول لعله لم ينسف منها ولا جبل واحد, اللهم إلا أن تكون آكاما صغاراً تؤخذ أحجارها للحاجة أو تزال عن الطرق فهذا قد يكون موجوداً الآن ولكن لا يعد هذا نسفا للجبال وتسييراً لها ومداً للأرض.

الوجه الثالث: أن نسف الجبال وتسييرها ومد الأرض مد الأديم إنما يكون يوم القيامة, قال الله تعالى (ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا), وقال تعالى (إن يوم الفصل كان ميقاتا. يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا وفتحت السماء فكانت أبوابا. وسيرت الجبال فكانت سرابا) وقال تعالى (فإذا السماء فرجت. وإذا الجبال نسفت. وإذا الرسل أقتت. لأي يوم أجلت. ليوم الفصل) وقال تعالى (ويسألونك عن



الجبال فقل ينسفها ربي نسفا. فيذرها قاعا صفصفا. لا تـرى فيها عوجا ولا أمتاً. يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الأصـوات للرحمن فلا تسمع إلا همسـا) وقـال تعـالى (القارعة ما القارعـة. وما أدراك ما القارعــة. يــوم يكــون النــاس كــالفراش المبثــوث وتكون الجبال كـالعهن المنفـوش). وقـال تعـالى (ويـوم ينفخ في الصور ففزع من في السـموات ومن في الأرض إلا من شـاء الله وكل أتـوه داخـرين. وتـرى الجبـال تحسـبها جامـدة وهي تمر مر السحاب) الآية.

وقيل إن تسيير الجبال يكـون عند قيـام السـاعة, وهو ظـاهر ما رواه ابن مســعود رضي الله عنه عن النــبي قــال «لقيت ليلة أسري بي إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام, فتــذاكروا أمر الساعة – فذكر الحديث في خروج الـدجال وقتله وخـروج يـأجوج ومأجوج وموتهم – قال ثم تنسف الجبـال وتمد الأرض مد الأديم» الحــديث رواه الإمــام أحمد وابن ماجه وابن جريــر, والحــاكم وصححه, ووافقه الذهبي في تلخيصه.

وفي حــديث الصــور الطويل «إن الله تعــال يــأمر إســرافيل بالنفخة الأولى فيقــــول انفخ فينفخ نفخة الفــــزع فيفــــزع أهل السـموات والأرض إلا من شـاء الله ويـأمره فيطيلها ويـديمها ولا يفتر, فيسير الله الجبال فتمر مر السـحاب فتكـون سـرابا» رواه ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني من حـديث أبي هريـرة رضي الله عنه مرفوعا.

الوجه الرابـع: أن المصـنف قـرر نسف الجبـال في الـدنيا بفعل بني آدم, واستدل على ذلك بقول الله تعالى (وإذا الجبال سيرت) وبما في حديث سـمرة وحـديث ابن مسـعود رضي الله عنهما ثم قرر نسفاً آخر يكون بعد قيام الساعة وهو المذكور في قول الله تعالى (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا).

والحق أن النسف إنما يكـون مـرة واحـدة وأن ما ذكر في قوله تعالى (وإذا الجبال سـيرت) وفي قوله عن عيسى عليه الصـلاة والسـلام «ثم تنسف الجبـال وتمد الأرض مد الأديم» هو بعينه ما ذكر في قول الله تعالى (ويسألونك عن الجبال فقل ينسـفها ربي نسفا) وغيرها من الآيات الـتي تقـدم ذكرهـا, ولا دليل على تعـدد النسف والله أعلم.

الوجه الخامس: أن النبي قـال «من سـره أن ينظر إلى يـوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ (إذا الشـمس كـورت) و(إذا السـماء انفطـرت) و(إذا السـماء انشـقت)» رواه الإمـام أحمد والترمـذي والحـاكم من حـديث ابن عمر رضي الله عنهمـا, وقـال الحـاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه, ووافقه الذهبي في تلخيصه.



وهذا الحديث الصحيح يدل على أن نسف الجبال إنما يكون يوم القيامة, وفيه رد لقول المصنف إن ذلك كائن الآن بفعل بني آدم؛ وفيه أيضا قطع ما تعلق به المصنف من قول الله تعالى (وإذا الجبال سيرت)وبيان أنه لا وجه لاستدلاله بهذه الآية على وقوع النسف في الدنيا.

فصل

وقال المصنف في صفحة (28 – 29) ما نصه:

ومن ذلك الكهرباء والاستنارة بها في الدور والطرق وفي الأسفار على البوابير والسيارات, فهي والله أعلم المراد بقوله تعالى (وإذا النجوم انكدرت), فقد قدمنا عن الصحابة وغيرهم من التابعين أنها من العلامات الواقعة في الدنيا قبل قيام الساعة.

وانكدار النجوم ضعف نورها أو ذهابه بالكلية عند وجود النور الكهربائي والاستغناء به في الطرق والأسفار عن نورها والاهتداء به في ظلمات الليل دونها, فإن الناس قبل ظهور النور الكهربائي ما كانوا يهتدون في ظلمات الليل في الأسفار إلا بالنجوم فلما ظهرت الكهرباء انكدرت أنوارها واستغنى الناس عنها؛ كما عطلت الإبل واستغنى الناس عنها أيضا بالسيارات وبوابير السكة الحديدية, وذكر الله تعالى ذلك أيضا بقوله (وإذا العشار عطلت) كما سبق بيانه.

ويؤيد هذا ويزيده وضوحاً أن الله تعالى عبر عن الشمس بالتكوير دون الانكدار وذهاب النور, لأن أنوار الكهرباء مهما عظمت قوتها لا تؤثر على نور الشمس بل بالعكس فإن الشمس هي التي تؤثر في أنوار الكهرباء فلا يظهر لها أثر مع سلطان الشمس بخلاف النجوم.

والجواب عن هذا من وجوه:

أحدها: أن المراد بانكدار النجوم طمسها وانتشارها على وجه الأرض كما سيأتي بيانه, وليس المراد به ما ذهب إليه المصنف من اختفائها عن الأبصار بسبب الأنوار الكهربائية, فإن ذلك لا يكون طمسا لها فضلا عن الانكدار. واستدلال المصنف بالآية على ما ذهب إليه لا وجه له؛ وهو من تأول القرآن على غير تأويله.

الوجه الثاني: أن طمس النجوم وانكدارها إنما يكون يوم القيامة, قال الله تعالى:(فإذا النجوم طمست. وإذا السماء فرجت. وإذا الجبال نسفت. وإذا الرسل أقتت. لأي يوم أجلت. ليوم الفصل. وما أدراك ما يوم الفصل) وقال تعالى:(إذا الشمس كورت. وإذا النجوم انكدرت).



قال البغوي في تفسيره (وإذا النجوم انكـدرت) أي تنـاثرت من السماء وتساقطت على الأرض, يقال انكدر الطائر إذا سـقط عن عشه, قال الكلبي وعطـاء: تمطر السـماء يومئذ نجومـاً فلا يبقى نجم إلا وقع.

وقال ابن كثير في تفسـيره (وإذا النجـوم انكـدرت) أي انتـثرت كما قال تعالى (وإذا الكواكب انتثرت). وأصل الانكدار: الانصباب, وقـال الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: ست آيات قبل يوم القيامة, بينما النـاس في أسـواقهم إذ ذهب ضـوء الشـمس, فبينما هم كـذلك إذ تنـاثرت النجـوم.. الحديث. رواه ابن أبي الدنيا وابن جرير وابن أبي حاتم وقد تقـدم ذكره (صفحة 54).

قـال ابن كثـير: وهكـذا قـال مجاهد والربيع بن خـثيم والحسن البصـري وأبو صـالح وحمـاد بن أبي سـليمان والضـحاك في قوله جل وعلا (وإذا النجـوم انكـدرت) أي تنـاثرت. قلت: وقـال قتـادة انكدرت: تساقطت وتهافتت.

وقد قـال أهل اللغة في الانكـدار بمثل ما قاله المفسـرون في ذلك, قال الجوهري: انكدر أي أسـرع وانقض, وانكـدرت النجـوم. وقال الراغب الأصفهاني: الانكدار يعـبر عن انتشـار الشـيء, قـال: (وإذا النجــوم انكــدرت), وانكــدر القــوم على كــذا إذا قصــدوا متناثرين عليه. وقال ابن منظـور في «لسـان العـرب»: انكـدرت النجـوم تنـاثرت. وكـذا قـال صـاحب القـاموس وغـيره أن معـنى انكدرت النجوم تناثرت.

وقد تقــدم حـديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسـول الله ﷺ قـال:«من سـره أن ينظر إلى يـوم القيامة كأنه رأي عين فليقـرأ (إذا الشــمس كــورت) و(إذا الســماء انفطــرت) و(إذا الســماء انشـقت)» وهـذا الحـديث فيه رد لما تعلق به المصـنف من الآية الكريمة.

الوجه الثــالث: أن ما ذكــره عن بعض الصــحابة والتــابعين أن الآيات الست في أول سورة التكـوير تكـون في الـدنيا قبل قيـام السـاعة, فليس مـرادهم ما ذهب إليه من وقـوع ذلك قبل قيـام السـاعة بـزمن طويـل, وإنما مـرادهم أن ذلك يكـون عند قيـام السـاعة, وأن ذلك من جملة الأهــوال الــتي تكــون عند قيامها والناس يشاهدون ذلك.

وأول ذلك ذهـاب ضـوء الشـمس كما في حـديث أبي بن كعب رضي الله عنه, وإذا كان ذهاب ضوء الشـمس هو أول ما يقع من الآيات فأي متعلق للمصنف في شـيء مما ذكـره الله تعـالى في أول سورة التكوير؟



الوجه الرابع: أن الناس لم يستغنوا عن الاهتداء بالنجوم في أسفارهم, ولا سيما اذا سافروا في الطرق التي لم تعبد فإنهم كثيراً ما تشتبه عليهم الجهة التي يقصدونها فيرجعون إلى الاهتداء بالنجوم. وكذلك جهة القبلة إنما يهتدون إليها في النهار بالشمس وفي الليل بالنجوم.

الوجه الخامس: أن الظاهر من كلام المصنف وتقريره أن تكوير الشمس هو شدة ضوئها وغلبته على الأنوار الكهربائية.

وهذا خطأ مخالف لما قاله المفسرون في معنى تكوير الشمس.

قال ابن كثير في تفسيره: قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما (إذا الشمس كورت) يعني أظلمت. وقال العوفي عنه: ذهبت. وقال مجاهد: اضمحلت وذهبت, وكذا قال الضحاك. وقال قتادة: ذهب ضوؤها. وقال سعيد بن جبير كورت غورت, وقال الربيع بن خثيم: كورت رمي بها. وقال أبو صالح: كورت ألقيت, وعنه أيضاً نكست. وقال زيد بن أسلم: تقع في الأرض.

قال ابن جرير: والصواب من القول عندنا في ذلك أن التكوير جمع الشيء بعضه إلى بعض, ومنه تكوير العمامة وجمع الثياب بعضها إلى بعض, فمعنى قوله تعالى كورت جمع بعضها إلى بعض ثم لفت فرمى بها, وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوؤها.

ثم ذكر ما رواه ابن أبي حاتم عن شيخ من بجيلة عن ابن عباس رضي الله عنهما «إذا الشمس كورت» قال: يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر, ويبعث الله ريحاً دبوراً فيضرمها ناراً. قال ابن كثير: وكذا قال عامر الشعبي.

فصل

وفي صفحة «29 – 32»:

قرر المصنف أن المطر الذي يكون مع الدجال هو المطر الصناعي, وأن ما يكون معه من جبل الخبز ونهر الماء هو ما يحمله في العربات الحاملة للماء والعربات الحاملة للخبز وماكينات العجين والخبر والطبخ وما إليها مما هو موجود الآن لدى سائر الدول لاستعمالها في الحروب, وان ذلك كله بالأسباب العادية التي أجراها الله تعالى على يد غيره واخترعها الإفرنج قبل ظهوره فاستعملها هو لدعوته.

والجواب أن يقال: إن الأمور التي تكون مع الدجال من الأمور الغيبية فلا يقال فيها بمجرد الرأي وإنما ينتهى فيها إلى ما جاء عن المعصوم صلوات الله وسلامه عليه.



والـذي يظهر من الأحـاديث أن ما يجريه الله تعـالى على يـدي الـدجال يكـون من خـوارق العـادات لا من الأسـباب العادية الـتي تعرفها الناس ويستعملونها, وذلك أعظم الفتنة, فأما الأمور الــتي قد سبقه بها غيره وعرفها النـاس فليس في إتيانه بها أمر خـارق يفتتن به الناس.

وقد جـاء في الحـديث الصـحيح «أنه يـأمر الســماء أن تمطر فتمطر, ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت فتروح سارحة القـوم عليهم أطول ما كانت ذرى وأسبغه ضروعاً وأمده خواصر».

رواه الإمام أحمد ومسلم وأهل السـنن إلا النسـائي من حـديث النـواس بن سـمعان الكلابي رضي الله عنـه. وهـذا شـيء خـارق للعادة لا من الأسباب العادية التي يعرفها الناس ويستعملونها.

وقد دل هذا الحديث على أن السماء تمطر بمجرد أمــره لها أن تمطر, لا بآلات يستعملها ذلك.

ودل الحديث أيضـاً على أن الأرض تنبت النبـات في الحـال من غـير آلة يسـتعملها لـذلك, وإن السـارحة تـروح من يومها وهي طويلة الذرى سابغة الضروع ممتدة الخواصر.

وفي الحديث أيضاً أنه «يلبث في الأرض أربعين يومـاً يـوم منها كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة». وهذا شيء خارق للعادة.

وفي الحديث أيضاً أنه يمر بالخربة فيقول لها: أخـرجي كنـوزك, فتتبعه كنوزها كيعاسـيب النحـل, وأنه يـدعو رجلا ممتلئـاً شـباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغـرض, ثم يـدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضــحك. وفي الحــديث الآخر أن له حمــاراً يركبه عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعـاً. وهو حـديث صـحيح وقد تقـدم ذكره. وهذا كله من خوارق العادات, لا من الأسـباب الـتي يعرفها الناس ويستعملونها.

ولهذا كـانت فتنة الـدجال أعظم فتنة تكـون في الـدنيا, كما في سنن ابن ماجة عن أبي أمامة البـاهلي رضي الله عنه أن رســول الله قال:«لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال, وإن الله لم يبعث نبياً إلا حذر أمته الدجال».

وفي المسند وصحيح مسلم عن هشام بن عامر رضي الله عنه قـال: سـمعت رسـول الله يقـول «ما بين خلق آدم إلى قيـام السـاعة خلق أكــبر من الــدجال». وفي رواية «أمر أكــبر من الـدجال». ولما كـانت فتنته أعظم الفتن أمر النـبي بالاسـتعاذة منها في كل صـلاة, وحــذر منه وأنــذر في عــدة أحــاديث. وفي المسند وسـنن أبي داود عن عمـران بن حصـين رضي الله عنهما قال: قـال رسـول الله :«من سـمع بالـدجال فلينأ عنـه» - وفي



رواية لأحمـــــد: يقولها ثلاثا - فو الله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات».

ولو كان ما مع الدجال من الأسباب العادية الـتي يعرفها النـاس ويسـتعملونها لكـان شـأنه كشـأن سـائر الـدول الـتي تصـنع المخترعـات العجيبة وتسـتعملها ولم يكن للتحـذير منه بخصوصه كبير فائدة.

فصل

وفي صفحة (33 – 34):

تأول المصنف ما جاء في حديثي ابن مسعود وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسـول الله قـال «من اقـتراب السـاعة انتفـاخ الأهلة» على آلات الرصد التي يرى بها الهلال عند أول ظهوره.

ولا يخفى:

أن الحديث ضعيف, ولو صح لكان محمولا على ظـاهره. لا على وجود آلات الرصد إذ لا غرابة في ذلك والله أعلم.

فصل

وقال في صفحة (38) ما نصه:

ومن ذلك زينة الأرض وحضارتها بتعبيد الطرق وإحداث الشوارع وإضاءتها بـالأنوار ووجـود الأبنية الطويلة ذات الطبقـات المتعـددة وغـير ذلك من أنـواع الزينة والحضـارة. وقد ذكر الله تعـالى ذلك من أشراط الساعة الدالة على قربها جداً فقال تعـالى (حـتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس).

والجواب:

أن يقـال إن هـذه الآية ليست واردة في أشـراط السـاعة كما زعمه المصـنف, وإنما هي مثل ضـربه الله تعـالى لزهـرة الحيـاة الدنيا وزينتها وسرعة انقضائها وزوالها: بالنبـات الـذي يخرجه الله تعـالى من الأرض بالمـاء الـذي ينــزله من السـماء. ولهـذه الآية نظائر في سورة الكهف وسورة الزمر وسورة الحديد وقد ذكرتها فيما تقدم.

فصل

وقال المصنف في صفحة (50) ما نصه:

إخبـاره بالإهمـال الواقع من النجـديين للمدينة المنـورة الـذي سيؤول بها إلى الخراب.

روى أحمد وأبو داود من حديث معاذ بن جبل قـال قـال رسـول الله :«عمران بيت المقدس خراب يثرب وخـراب يـثرب خـروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسـطنطينية وفتح القسـطنطينية خروج الدجال».



فعمــران بيت المقــدس قد ابتــدأ وظهر إن لم يكن تم بإنشــاء دولة اليهود فيه فإنهم عمروه ولا زالوا جادين في عمارته.

والمدينة المنــورة في طريق الخــراب, لمحاربة القرنـــيين لها وسعيهم في القضاء عليها بعدم التفـاتهم إليها وإلى إصـلاحها, مع إهمالهم لأهلها ومعاكسـتهم لمن يريد الإقامة بها وصـرفهم النظر عن سكانها وعـدم مسـاعدتهم ومد يد المعونة إليهم, لتخـرب ولا يبقى بها ساكن ولا مجـاور لسـيد الخلق ﷺ, بغضـاً منهم في جانبه الشـريف واعتقـاداً منهم - قبحهم الله - أن زيارته وتعظيمه بدعة وضلال, فهم يسعون لـذلك في خرابها حـتى ينصـرف النـاس عن المجاورة والزيارة. وخرابها كما ترى من أشراط الساعة.

والجواب عن هذا من وجوه:

أحــدها: أن ما ذكــره عن النجــديين من الإهمــال للمدينة وأهلها إلى آخر كلامه الذي أقذع فيه فكله كذب وبهتان.

وكل من رأى حال المدينة وأهلها في هذا الزمان يعلم حقاً جراءة هذا الصـوفي على الكذب والبهتان وإسرافه في ذلك, وقد قيل:

لي حيلة فيمن ينمُّ وليس في الكذاب حيله

من كان يخلق ما يقول فحيلتي فيه قليله

وقال بعض السلف يفسد الكذاب والنمام في ساعة ما لا يفسد الساحر في سنة.

والكـذب من كبـائر الإثم وقد قـال الله تعـالى (إن الله لا يهـدي من هو مسرف كـذاب). وقـال تعـالى (والـذين يـؤذون المؤمـنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملـوا بهتانا وإثما مبينـا) وقـال تعالى (إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين) قال أبو قلابة هي والله لكل مفتر إلى يوم القيامة.

وروى الإمـام أحمد والشـيخان وأبو داود والترمـذي عن عبدالله بن مســعود رضي الله عنه قـــال قـــال رســـول الله ﷺ «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة, وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصـدق حـتى يكتب عند الله صـديقا. وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجـور وإن الفجـور يهـدي إلى النار, وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حــتى يكتب عند الله كذابا».

وروى ابن حبـان في صـحيحه عن أبي بكر الصــديق رضي الله عنه قال قال رسـول الله ﷺ:«عليكم بالصـدق فإنه مع الـبر, وهما في الجنة. وإياكم والكذب فإنه مع الفجور, وهما في النار».



وروى الطــبراني في الكبــير بإســناد حسن عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال قال رسول الله «عليكم بالصــدق فإنه يهـدي إلى الـبر, وهما في الجنة وإيـاكم والكـذب فإنه يهـدي إلى الفجور وهما في النار».

وروى الإمــام أحمد عن عبدالله بن عمــرو رضي الله عنهما أن رجلا جاء إلى النبي فقـال: يا رسـول الله ما عمل الجنـة؟ قـال «الصــدق إذا صــدق العبد بر وإذا بر آمن, وإذا آمن دخل الجنــة» قال يا رسـول الله وما عمل النـار قـال «الكـذب: إذا كـذب العبد فجر وإذا فجر كفر وإذا كفر دخل» يعني النار.

وروى الإمـام أحمد أيضا والبخـاري في صـحيحه عن سـمرة بن جنــدب رضي الله عنه عن النــبي أنه قــال «أتــاني الليلة آتيــان وإنهما ابتعثــاني – فــذكر الحــديث وفيه – فــانطلقت معهما فأتينا على رجل مستلق لقفـاه, وإذا آخر قـائم عليه بكلـوب من حديـد, وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيشرشر شدقه إلى قفـاه ومنخـره إلى قفـاه وعينه إلى قفـاه - قـال - ثم يتحـول إلى الجـانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول, فما يفرغ من ذلك الجــانب حـــتى يصح الأول كما كـــان, ثم يعـــود فيفعل به مثل ما فعل به المرة الأولى - قال - قلت سبحان الله ما هذان؟ - قال - قالا لي: انطلق انطلق– الحديث وفي آخره – وأما الرجل الـذي أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه وعيناه إلى قفاه ومنخراه إلى قفاه فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق».

وروى الترمــــذي في جامعه عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي قال «إذا كذب العبد تباعد عنه الملك ميلا من نتن ما جاء به»: قال الترمذي هذا حديث حسن جيد غريب.

وروى الإمـــام أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه قـــال قـــال رســـــول الله «يطبع المـــــؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب» وروى الـبزار وأبو يعلى نحـوه من حـديث سـعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

وروى الإمام أحمد أيضا عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: يا أيها الناس إيـاكم والكـذب فـإن الكـذب مجـانب للإيمـان. ورواه البيهقي مرفوعا وقال: الصحيح أنه موقوف.

وروى مالك عن صفوان بن سـليم مرسلا قـال قيـل: يا رسـول الله أيكون المؤمن جبانا؟ قـال نعم, قيـل: أيكـون المـؤمن بخيلا؟ قال: نعم قيل له: أيكون المؤمن كذابا قال: لا.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي قال «آية المنـافق ثلاث. إذا حـدث كـذب, وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خـان» وفي رواية لمسـلم:«آية المنـافق ثلاث وإن صـام وصـلى



وزعم أنه مسلم» ورواه الإمام أحمد ولفظه قال:«ثلاث من كن فيه فهو منافق, وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم: من إذا حدث كذب, وإذا وعد أخلف, وإذا اؤتمن خان إسناده صحيح على شرط مسلم.

وفي الصحيحين والمسند والسنن عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي قال «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان, وإذا حدث كذب, وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر».

وروى أبو يعلى وأبو الشيخ الأصبهاني عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله قال «ثلاث من كن فيه فهو منافق, وإن صام وصلى وحج واعتمر وقال إني مسلم: إذا حدث كذب, وإذا وعد أخلف, وإذا اؤتمن خان».

وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى كان يقال: أس النفاق الذي بني عليه: الكذب.

والأحاديث في ذم الكذب والتحذير منه كثيرة, وفيما ذكرته كفاية.

ومما يؤسف له صدور الكذب والبهتان من المصنف مع دعواه لنفسه مرتبة الكمال في آخر كتابه, وأنه من القائمين بكتاب الله الداعين إليه سراً وعلانية فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الوجه الثاني: أن المدينة كانت في زمان ولاية الترك عليها كسائر القرى المتأخرة في أنواع العمارة والتنظيم؛ وكان السكان فيها قليلا والخراب في بيوتها كثيراً لقلة من يمر بها في غير وقت الحج.

ولما ولي عليها أهل نجد جعلوها هي ومكة, نصب أعينهم وموضوع عنايتهم, فكانوا يهتمون بهما وبأهلهما أعظم من اهتمامهم بعاصمة ملكهم التي كانوا يسكنون فيها وبأهلها حتى صارت المدينة الآن من المدن الكبار في السعودية, متباعدة الأطراف كثيرة السكان معموراً أكثرها بأحسن العمارة الحديثة ومنظمة بأحسن التنظيم.

وقد زاد النجديون في المسجد النبوي منذ سنوات أكثر من مثله في ولاية الترك على المدينة, ولا يزال مع ذلك يضيق بالمصلين فيه, والخيرات في المدينة كثيرة جداً وأهلها في نعمة عظيمة ورخاء من العيش وافر وأمن وطمأنينة.

وقد كثر الوافدون إليها في كل وقت, وخصوصاً لما عبدت الطرق إليها فلا تزال في كثير من الأوقات مزدحمة بالسكان



والوافدين. فإن كان المصنف لم يرها في الوقت الحاضر فليقـدم إليها ولينظر إليها حتى يعلم بطلان ما قاله فيها وفي أهلها وفيمن لهم الأمر فيها.

الوجه الثالث: أن عمـران بيت المقـدس, الـذي جـاء ذكـره في حـديث معـاذ بن جبل رضي الله عنـه, ليس هو بتضـخيم البنـاء وزخرفته وتنظيمه على الأشـكال الحديثة كما توهمه المصـنف, وإنما عمرانه بظهـور الإيمـان وطاعة الله تعـالى فيـه؛ وإزالة الشـرك والبـدع وسـائر المنكـرات منـه, وهـذا لم يكن إلى الآن, وسـيكون ذلك فيما بعد إذا كـانت الخلافة في الأرض المقدسة قبل خروج الدجال ونـزول عيسى عليه الصلاة والسلام.

كما في حـديث أبي أمامة البـاهلي رضي الله عنه عن النـبي ﷺ في ذكر الـدجال, وفيـه: فقـالت أم شـريك بنت أبي العكـر: يا رسـول الله فـأين العـرب يومئـذ؟ قـال «هم قليـل, وجلهم يومئذ بـبيت المقـدس, وإمـامهم رجل صـالح. فبينما إمـامهم قد تقـدم يصـلي بهم الصـبح إذ نـزل عليهم عيسى بن مـريم عليه الصـلاة والسلام فرجع ذلك الإمـام ينكص يمشي القهقـرى ليقـدم عيسى يصلي, فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له: تقدم فصل فإنها لك أقيمت, فيصلي بهم إمامهم...» الحديث. رواه ابن ماجه.

وروى الإمام أحمد وأبو داود والبخـاري في تاريخه والحـاكم في مستدركه عن عبدالله بن حوالة الأزدي رضي الله عنه قال: وضع رسول الله ﷺ يده على رأسي – أو على هـامتي– ثم قـال:«يا ابن حوالة إذا رأيت الخلافة قد نـزلت الأرض المقدسة فقد دنت الـزلازل والبلابل والأمـور العظـام, والسـاعة يومئذ أقـرب إلى الناس من يدي هذه من رأسك» قال الحاكم: صحيح الإسـناد ولم يخرجاه, ووافقه الذهبي في تلخيصه.

وقد قـال الله تعـالى:(إنما يعمر مسـاجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا اللـه). وقـال تعـالى (ومن أظلم ممن منع مسـاجد الله أن يـذكر فيها اسـمه وسعى في خرابها). وفي هاتين الآيتين دليل على أن العمـارة في الحقيقة إنما هي بالإيمـان وإعلاء كلمة اللـه. وأن الخـراب كل الخراب بضد ذلك.

ويـدل على ذلك أيضـاً حـديث علي رضي الله عنه قـال: قـال رسـول الله ﷺ «يوشك أن يـأتي على النـاس زمـان لا يبقى من الإسـلام إلا اسـمه, ولا يبقى من القـرآن إلا رسـمه, مسـاجدهم عـامرة وهي خـراب من الهـدى, علمـاؤهم شر من تحت أديم السماء, من عندهم تخـرج الفتنة وفيهم تعـود» رواه الـبيهقي في «شعب الإيمان», وذكره الإمام أحمد في كتاب الصلاة مختصراً.



وذكر الإمام أحمد أيضاً عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال توشك القرى أن تخرب وهي عامرة, قيل: وكيف تخرب وهي عامرة؟ قال: إذا علا فجارها أبرارها, وساد القبيلة منافقها. ورواه أبو موسى المديني في كتاب «دولة الأشرار».

وإذا علم هذا فاليهود لم يعمروا بيت المقدس كما زعمه المصنف, وإنما هم مخربون له, ولا زالوا جادين في تخريبه حتى تنزل الخلافة فيه وتطهره منهم ومن إخوانهم من المشركين والمنافقين.

الوجه الرابع: أن بغض الرسول من نواقض الإسلام فمن أبغضه, أو أبغض شيئاً مما جاء به, فهو كافر, وقد حكى شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى الاتفاق على هذا.

ومع هذا فقد زعم هذا الصوفي الملحد في آيات الله تعالى أن النجديين يبغضون الرسول , ويعتقدون أن زيارته ومجاورته وتعظيمه بدعة وضلال.

والجواب عن هذه الفرية أن نقول: سبحانك هذا بهتان عظيم. وقد قال بهذه الفرية قبله غير واحد من سلفه وأشباهه من أهل الزيغ والإلحاد, ورد عليهم المحققون من أهل نجد وغيرهم بما يشفي ويكفي.

وقد قال الله تعالى (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي قال:«من ذكر امرأً بشيء ليس فيه, ليعيبه به, حبسه الله في نار جهنم حتى يأتي بنفاذ ما قال فيه» رواه الطبراني, قال المنذري: وإسناده جيد. وفي رواية له «أيما رجل أشاع على رجل مسلم بكلمة وهو منها بريء, يشينه بها في الدنيا, كان حقاً على الله أن يذيبه يوم القيامة في النار حتى يأتي بنفاذ ما قال».

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله يقول «من قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال» رواه الإمام أحمد وأبو داود والطبراني وزاد:«وليس بخارج».

وكلام المصنف في زيارة النبي وتعظيمه: فيه إجمال. فإن كانت الزيارة بغير سفر فلا خلاف في جوازها, وليس أحد من علماء النجديين يمنع منها, فضلا عن أن يعتقدوها بدعة وضلالا كما زعمه المصنف كذباً وافتراء عليهم.

وإن كانت الزيارة تحتاج إلى سفر فهي داخلة فيما نهى عنه الرسول من شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة كما في الصحيحين والمسند والسنن - إلا الترمذي - عن أبي هريرة رضي



الله عنه عن النبي قـال:«لا تشد الرحـال إلا إلى ثلاثة مسـاجد: المسجد الحرام, ومسجد الرسول , ومسجد الأقصى» هذا لفظ البخــاري, وفي رواية لمســلم «إنما يســافر إلى ثلاثة مســاجد: مسجد الكعبة, ومسجدي, ومسجد إيلياء».

قـال الحافظ ابن حجر في «فتح البـاري» قوله لا تشد الرحـال بضم أوله بلفظ النفي والمـراد النهي عن السـفر إلى غيرها قـال الطيبي: هو أبلغ من صـريح النهي, كأنه قـال لا يسـتقيم أن يقصد بالزيارة إلا هـذه البقـاع, لاختصاصـها بما اختصت بـه, وكـنى بشد الرحال عن السـفر لأنه لازمـه, وخـرج ذكرها مخـرج الغـالب في ركوب المسافر, وإلا فلا فرق بين ركوب الرواحل والخيل والبغال والحمير والمشي في المعنى المذكور, ويدل عليه قوله في بعض طرقه:«إنما يسافر» انتهى.

وفي الصحيحين وغيرهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي قـال «لا تشد الرحـال إلا إلى ثلاث مسـاجد: مسـجد الحرام, ومسجد الأقصى, ومسـجدي» هـذا لفظ البخـاري, ولفظ مسـلم:«لا تشـدوا الرحـال إلا إلى ثلاثة مسـاجد: مسـجدي هـذا, والمسجد الحرام, والمسجد الأقصى».

ورواه ابن ماجه في ســننه من حــديث أبي ســعيد وعبدالله بن عمــرو بن العــاص رضي الله عنهما عن النــبي قــال «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: إلى المسجد الحرام, وإلى المسـجد الأقصى, وإلى مسـجدي هـذا». وروى الطـبراني في الصـغير عن علي رضي الله عنه عن النــبي قــال «لا تشد الرحــال إلا إلى ثلاثة مســاجد: مســجدي هــذا, والمســجد الحــرام, والمســجد الأقصى».

وفي الموطأ والمسند وسنن النسائي عن بصـرة بن أبي بصـرة رضي الله عنه أنه قــال لأبي هريــرة رضي الله عنه – وقد أقبل من الطور –: لو أدركتك قبل أن تخـرج إليه لما خـرجت, سـمعت رســـول الله يقـــول «لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مســـاجد: المسجد الحرام, ومسجدي هـذا, والمسـجد الأقصـى». وقد رواه الإمــام أحمد أيضــاً وأبو داود الطيالسي والبخــاري في التــاريخ الكبير من حديث أبي بصرة رضي الله عنه, بنحوه.

وقد تحصل من ألفاظ هذه الأحاديث ثلاث صـيغ: النفي, والنهي, والحصر, وكل واحدة من هذه الصيغ تفيد أنه لا يجـوز السـفر إلى زيـارة شـيء من القبـور ولا المسـاجد والأمـاكن المعظمة سـوى المساجد الثلاثة. وباجتماع هـذه الصـيغ الثلاث يـزداد المنع شـدة, والله أعلم.



وإذا كان شد الرحال إلى زيارة القبور معصية للنبي فما ذنب النجـديين إذا نهـوا عن ذلك واعتقـدوه بدعة وضـلالا عن الصـراط المسـتقيم, فليس النجـديون بمخطـئين في نهيهم عن الزيـارة البدعيـــة, وإنما المخطئ الأثيم من أجازها وارتكب ما نهى عنه الرسـول من شد الرحـال إلى غـير المسـاجد الثلاثـة, فخـالف بذلك قول الله تعالى (وما آتاكم الرسـول فخـذوه وما نهـاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب).

وأما تعظيم النبي : فإن كـان ذلك بما أمر الله بـه, من طاعته ومحبته واحترامه وتوقيره واتباع أوامـره واجتنـاب نواهيـه, فـذلك واجب على كل مسـلم, وجميع المؤمـنين من النجـديين وغـيرهم على هـذا المـذهب, وليس أحد من مؤمـني أهل نجد يخـالف في هـذا؛ فضلا عن أن يعتقـدوه بدعة وضـلالا كما زعم ذلك المصـنف كذباً وافتراءً عليهم.

وإن كـــان تعظيمه بما نهى عنه من اللغو فيه وإطرائه كما أطرت النصارى عيسى بن مريم, واتخاذ قبره عيداً والالتجـاء إليه في قضـاء الحاجـات وتفـريج الكربـات وإغاثة اللهفـات كما يفعله كثير من المفتونين بالقبور, فذلك ضلال عن الصـراط المسـتقيم. ومن اعتقد ذلك بدعة وضـلالا فهو المصـيب, ومن أنكر عليه فهو التائه الضال, والله أعلم.

وأما تسمية المصنف للنجديين بالقرنيين, فمراده أنهم هم قـرن الشيطان الذي أخبر النبي بطلوعه. وسـيأتي الجـواب عن هـذا إن شـاء الله تعـالى عند قوله في صـفحة (76):«ولما طلع قـرن الشيطان بنجد». والله المستعان؛ وهو حسبنا ونعم الوكيل.

فصل

وقال المصنف في صفحة (51) ما نصه:

روى الطبراني في الكبير والحـاكم في المسـتدرك, من حـديث عبدالله بن الحـارث بن جـزء الزبيـدي قـال: قـال رسـول الله «سـيكون بعـدي سـلاطين, الفتن على أبـوابهم كمبـارك الإبـل, لا يعطون أحداً شيئاً إلا أخذوا من دينه مثلـه». فسـلاطين الفتن هم الموجـــودون في هـــذا العصر لا من كـــان قبلهم, بـــدليل قوله :«على أبـــوابهم كمبـــارك الإبـــل» لأن هـــذا وصف الســـيارات ومواقفهـا, ولم يوجد ذلك إلا في عصـرنا هـذا على أبـواب ملـوك الـــوقت الـــذين هم منشأ الفتن القائمة الآن في ســـائر الأقطـــار الإسلامية كما هو معلوم.

ويؤيد ذلك أيضاً ذكره لبعضهم ووصفه أصحابه بالوصف الذي لم يكن موجوداً قبل وقتنا هـذا, فـروى الطـبراني في الكبـير من مرسل عبدالله بن رباح قال قال رسول الله «يوشك أن يـؤمر



عليهم الرويجل فيجتمع إليه قــوم محلقة أقفيتهم بيض قمصــهم, فــإذا أمــرهم بشــيء حضــروا» فــالقوم المحلقة أقفيتهم هم العصــريون المتفرنجــون الــذين يلبســون القمص تحت الملابس الإفرنجية أيضاً ويحلقـون أقفيتهم تشـبهاً بالكفـار, وهم الملتفـون حـول سـلاطين الـوقت أهل الفتن. أما من كـان قبل هـذا العصر فلم يكن فيهم قــوم محلقة أقفيتهم ولا على أبــوابهم كمبــارك الإبل.

والجواب عن هذا من وجهين:

أحدهما: أن حديث عبدالله بن الحارث بن جزء ضعيف جـداً لأن في إسناده «حسان بن غالب» قال الـدارقطني ضـعيف مـتروك, وكذا قال الذهبي والهيثمي أنه مـتروك, وذكـره ابن حبـان فقـال: شيخ من أهل مصر يقلب الأخبار, ويروي عن الأثبات الملزقات لا تحل الرواية عنه إلا على سبيل الاعتبار.

وفيه أيضــاً «ابن لهيعــة», وهو ضـعيف. وعلى هـذا فليس هـذا الحديث بشيء ولا يعتد به.

الوجه الثاني: لو قدرنا صـحة هـذا الحـديث فهو عـام لسـلاطين الفتن في هذا الوقت ولم كان قبلهم من زمان بني أمية إلى يـوم القيامة وليس فيه ما يدل على تخصيص أهل هذا العصر بذلك.

وأما اســتدلال المصــنف على ما ذهب إليه بقوله على أبــوابهم كمبـارك الإبـل, وأن هـذا وصف السـيارات ومواقفها على أبـواب ملوك الـوقت فهو اسـتدلال في غاية البعد والتكلـف, إذ ليس بين الإبل وبين السيارات شيء من المشابهة.

وأيضــاً فإنه قــال في الحــديث «الفتن على أبــوابهم كمبــارك الإبل» والمبـارك: آثـار الإبل في الأرض لا أجسـام الإبل والمعنى أن الفتن على أبوابهم كثيرة تشبه في كثرتها آثار الإبل التي تنــاخ عند أبوابهم. ولو كان الأمر على ما ذهب إليه المصنف لقال على أبوابهم كالإبل البروك أو الإبل المناخة.

وأما الحديث الآخر الـذي ذكـره المصـنف عن عبدالله بن ربـاح. فصــوابه:«عبدالله بن وراح» بــراء ثقيلة ثم حــاء مهملــة, هكــذا ضبطه الحافظ ابن حجر في «الإصابة». وهو معدود في الصـحابة فحديثه متصل وليس بمرسل.

وقد ظهر مصــداق حديثه في زمنه بل فيه نفسه وفي جــزء بن سهيل السلمي رضي الله عنه:

قــال جبــير بن نفــير: كــان عبدالله بن وراح قــديماً له صـحبة, وحدثنا أن النبي ﷺ قال «يوشك أن يؤمر عليكم الرويجل, فيجتمع عليه قــوم محلقة أقفيتهم بيض قمصــهم, فــإذا أمــرهم بشــيء حضروا» ثم إن عبدالله بن وراح ولي على بعض المـدن, فـاجتمع



إليه قـوم من الـدهاقين محلقة أقفيتهم بيض قمصـهم, فكـان إذا أمــرهم بشـــيء حضــروا فيقــول: صــدق الله ورســوله. رواه الطبراني, قال الهيثمي: ورجاله ثقات.

وعن جبير بن نفير أيضاً قال: قال ابن حوالة رضي الله عنه كنا عند رسول الله فشكوا إليه الفقر والعري وقلة الشـيء, فقـال النبي «أبشروا فوالله لأنا لكثرة الشيء أخوف عليكم من قلته, والله لا يـزال هـذا الأمر فيكم حـتى يفتح لكم جند بالشـام وجند بالعراق وجند باليمن حـتى يعطي الرجل المائة فيسـخطها» قـال عبدالله بن حوالة: ومتى نستطيع الشام مع الروم ذات القــرون؟ فقـال رسـول الله :«ليفتحها لكم ويسـتخلفكم فيها حـتى تظل العصـابة منهم, الـبيض قمصـهم, المحلقة أقفـاؤهم, قيامـاً على الرويجل الأسيود منكم, ما أمـرهم بشـيء فعلـوه, وإن بها اليـوم رجالا لأنتم أحقر في أعينهم من القردان في أعجـاز الإبـل» رواه الطبراني بإسنادين قـال الهيثمي: رجـال أحـدهما رجـال الصـحيح غير نصر بن علقمة وهو ثقة. وقد رواه البيهقي بنحـوه وزاد: قـال أبو علقمة نصر بن علقمة سمعت عبدالرحمن بن جبـير ابن نفـير يقول: فعرف أصحاب رسـول الله نعت هـذا الحـديث في جـزء بن سهيل السلمي, وكان على الأعـاجم في ذلك الزمـان, فكـانوا إذا رجعوا من المسجد نظروا إليه وإليهم قيامـاً حولـه, فيعجبـون لنعت رســـول الله فيه وفيهم, ورواه ابن عســـاكر في تاريخه وثـابت بن قاسم في الـدلائل بنحـوه وزادا – بعد قوله وكـان على الأعاجم –: وكـان أسـود قصـيراً, فكـانوا يـرون تلك الأعـاجم وهم حوله قيـام, لا يـأمرهم بشــيء إلا فعلــوه, فيتعجبــون من هــذا الحديث.

وفي هــذا الحــديث والــذي قبله رد لما ذهب إليه المصــنف في معــنى حــديث عبدالله بن وراح رضي الله عنــه, وان المــراد به العصــريون المتفرنجــون الــذين يلبســون القمص تحت الملابس الإفرنجية ويحلقون أقفيتهم تشبهاً بالكفار.

وفيهما أيضـاً رد لقوله إن الوصف المـذكور في حـديث عبدالله بن وراح رضي الله عنه لم يكن موجـوداً قبل وقتنا هـذا, وأن من كان قبل هذا العصر لم يكن فيهم قوم محلقة أقفيتهم.

فصل

وفي صفحة (52):

ذكر المصــنف إنشــاء دولة اليهــود, وأن دولتهم إنما كونها لهم الإنجليز والأمريكان, وأن الله تعـالى أخـبر بـذلك في قوله تعـالى (ضــــربت عليهم الذلة أينما ثقفــــوا إلا بحبل من الله وحبل من



الناس) قال: فالحبل هو العهد والسبب, والناس هم الإنجليز والأمريكان.

ثم ذكر أن النبي أشار إلى ذلك في حديث معاذ السابق قريباً حيث قال «عمران بيت المقدس خراب يثرب» الحديث.

قال: وبيت المقدس ما عمر تمام العمارة إلا بعد إنشاء دولة اليهود.

والجواب عن حديث معاذ وكلام المصنف عليه قد تقدم قريباً (في صفحة 80) فليراجع.

وأما قوله إن الناس الذين قال الله تعالى فيهم (وحبل من الناس) هم الإنجليز والأمريكان. فهو من القول في القرآن بمجرد الرأي, وذلك حرام.

وجوابه: أن يقال إن الآية عامة لكل من كان اليهود تحت ولايتهم في قديم الدهر وحديثه, من ملوك اليونان والروم والفرس فيما قبل الإسلام, ثم ملوك المسلمين بعد ذلك, وغيرهم من ملوك النصارى الذين كانت طوائف اليهود عندهم, فإنهم بعد ضرب الذلة عليهم لم يكونوا يأمنون إلا بحبل من الله, وهو عقد الذمة لهم وضرب الجزية عليهم, وحبل من الناس أي أمان منهم لهم.

وليست الآية نازلة في الإنجليز والأمريكان, ولا خاصة فيهم, كما توهمه المصنف.

فصل

وفي صفحة (54 – 55):

تخبيط كثير في شأن المصريين زعم فيه المصنف أنهم هم الذين قال فيهم النبي «لا تزال طائفة على الحق ظاهرين على من ناوأهم, كالإناء بين الأكلة, حتى يأتي أمر الله وهم كذلك». وأنهم الذين قال فيهم النبي «لتقاتلن المشركين حتى يقاتل بقيتكم الدجال على نهر الأردن أنتم شرقيه وهم غربيه» قال: وهذا قد تحقق الآن في المصريين مع الإنجليز والفرنسيين واليهود والأمريكان.

ثم ذكر تخبيطاً كثيراً حاصله تأييد ما ذهب إليه من أن المصريين هم الطائفة المنصورة, وأنهم هم الذين يقاتلون الدجال وجنده اليهود. قال: وفي هذا بشارة لهم بالإيمان والعصمة من فتنة الدجال وأن الله تعالى سيظهر لهم كرامة, وهي كلام الشجر والحجر معهم فيقول الشجر والحجر للمؤمن: يا عبد الله هذا كافر ورائي فتعال فاقتله. قال: والمؤمن من جيش مصر والاتحاد العربي فدل على بقاء إيمانهم في ذلك الوقت, وأن فتنته غير ضارة بهم إلا من شاء الله خذلانه.



والجواب عن هذا من وجوه:

أحدها: أن يقال ليس الإيمان بالتحلي ولا بـالتمني, ولكن ما وقر في القلوب وصـدقته الأعمـال, وإذا عرضـنا أعمـال الكثـيرين من المصريين الآن على ما يأمر به الإيمان ويقتضيه وجدنا بينهم وبين الإيمان كما بين المشرق والمغرب, بل أبعد من ذلك بكثير.

الوجه الثـــاني: أن الطائفة المنصـــورة هي الفرقة الناجية من الثلاث والسبعين فرقة, وقد سئل النبي عن الفرقة الناجية من هم؟ فقال:«هم من كان على مثل ما أنا عليه اليـوم وأصـحابي», وهذا يدل على بعد المصريين عن وصف الطائفة المنصـورة غاية البعد, وذلك لمخالفتهم لمنهاج الرسول وبعـدهم عما كـان عليه هو وأصحابه غاية البعد.

وبيان ذلك من وجوه:

1- أحدها: أن الله تعالى بعث رسوله بالتوحيد, وأمـره بمحق الأوثان وجميع المعتقدات التي يتعلق بها المشركون من دون الله تعالى. وقد خالف المصريون هذا فغلوا في القبـور غلـواً عظيمـاً, واتخــذوا كثـيراً منها أوثانا تعبد من دون اللــه, ولا سـيما مشــهد البدوي ومشهد الحسـين والرفـاعي والدسـوقي والحنفي ونفيسة وزينب وأمثالهم من المعتقدين المعبودين من دون الله.

وقد رأيت في بعض الصـحف المصـرية منذ سـنوات أن الـزوار للبدوي في يوم مولده بلغوا خمسمائة ألف تقريباً, وأنه تزوج في ذلك المجمع عشرة آلاف تقريباً, وختن فيه من الأطفال أكـثر من ذلـك, يرجـون بـذلك البركة من البـدوي. وهـذا هو نفس ما بعث النبي بمحقه ومجاهدة أهله.

ولـولا خشـية الإطالة لـذكرت كثـيراً مما يفعله المصـريون عند القبور وغيرها من المواضع التي يعتقـدون فيها النفع والضـر, وما يصرفونه لبعض الأموات من خصائص الربوبية والألوهية.

2- ثانيها: أن المصريين قد نبذوا حكم الشريعة وراء ظهــورهم, واعتاضـوا عنه بـالقوانين الوضـعية الـتي هي من حكم الطـاغوت والجاهلية, وزعموا أن الحكم بالشريعة يؤخرهم عن اللحاق بدول الكفر من الإفرنج وأضـرابهم. وقد قـال الله تعـالى (من لم يحكم بما أنـزل الله فأولئك هم الكافرون). وقال تعالى (ومن لم يحكم بما أنـزل الله فأولئك هم الظالمون) وقال تعـالى (ومن لم يحكم بما أنـــزل الله فأولئك هم الفاســـقون) وقـــال تعـــالى (أفحكم الجاهلية يبغـون ومن أحسن من الله حكما لقـوم يوقنـون) وقـال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حـتى يحكمـوك فيما شـجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما).



3- ثالثهــا: افتتــانهم بالاشــتراكية الخبيثة الــتي شــرعها لهم الشيوعيون, وزعمهم كـذبا وزوراً أنها من دين الإسـلام. وهي من أعظم الظلم الـــذي حرمه الله تعـــالى في كتابه وعلى لســـان رسوله ﷺ.

4- رابعهـا: قتـالهم لأهل اليمن بغـير سـبب شـرعي, وضـربهم بالقنابــل, وإلقائها أيضــاً على المستضــعفين في القـــرى من شيوخهم ونسائهم وأطفالهم. وهذا من أعظم البغي والعدوان.

5- خامسها: تركهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالكلية.

6- سادسها: تقليدهم لدول الإفرنج, واتبـاع سـننهم حـذو النعل بالنعل في كل شيء حتى في قبائحهم ورذائلهم.

7- سابعها: انتهاكهم لكثير مما حرمه الله ورسوله, وقد تواترت الأخبــار بما فشى وظهر عنــدهم من كبــائر الإثم, ولا حاجة إلى تفصـيل أنـواع ذلـك, إذ لا فائـدة في ذكرها وهي معلومة عند كل عاقل نبيه.

وإذا كـان الأمر كما ذكرنا عنهم – مع أنه أعظم مما ذكرنا بكثـير – وعلم أنهم بعيــــدون غاية البعد عما كـــان عليه الرســـول ﷺ وأصحابه, فهل يقول عاقل بعد هذا إنهم هم الطائفة المنصورة؟

كلا, لا يقول هذا عاقل, وإنما يقوله من أعمى الله بصيرته.

الوجه الثالث: أن المصنف نقض ما ادعاه في المصريين, فقـال في صـفحة (82) من كتابه ما نصــه: وبســبب هــؤلاء الملاحــدة المارقين انتشر الكفر والإلحاد حتى بين طلبة علم الدين فصـاروا أكفر من طلبة المــدارس, وألحد من رؤوس هــؤلاء الزنادقـــة, تقليداً لهم وعملا بدعايتهم, وصار معهد القـرويين معهـداً للإلحـاد والكفر بالله ومحاربة القــرآن والسـخرية من العقائد الإســلامية, والاستهانة بالـدين وبأشـرف الخلق ﷺ, مع تعظيم شـأن الملاحـدة ومشـاهير الكفـار, حـتى صـاروا يمنعـون المـدرس أن يسـتدل بـالقرآن أو يـذكر النـبي ﷺ باسم الرسـالة, ويأمرونه إذا ذكـره أن يقـول:«قـال محمـد» فقط بل صـار المـدرس منهم ينـادي بـأن تفكــيره هــداه إلى أن دين الإســلام غــير صــحيح, وأنه حر في عقيدته, في أمثال هذا مما هو معروف.

أما الصلاة فهم أبعد الناس منها وهي أبغض شيء إليهم, وهكذا كـان حـال طلبة الأزهر بالنسـبة إلى الصـلاة, فكنت تـرى النـاس يصلون وهم يأكلون ويمزحون ويمرحون ويضحكون. انتهى كلامه.

فـــانظر إلى ما ذكـــره عن طلبة الأزهر من تضـــييع الصـــلاة والاســـتخفاف بشـــأنها, وإذا كـــان هـــذا حـــال الطلبة فما الظن بغيرهم؟



وقد ثبت عن النبي أنه قال «بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة» رواه الإمام أحمد ومسلم وأهل السنن وغيرهم من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما, وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. ولفظ مسلم. «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة».

وروى الإمام أحمد وابنه عبدالله والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارقطني والآجري عن بريدة رضي الله عنه قال قال رسول الله «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر» قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب. وصححه أيضا ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي في تلخيصه. والأحاديث في تكفير تارك الصلاة كثيرة جدا وليس هذا موضع ذكرها.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا إسلام لمن ترك الصلاة وفي رواية: لاحظ في الإسلام لمن ترك الصلاة. رواه مالك وغيره. والآثار عن الصحابة في تكفير تارك الصلاة كثيرة جداً, وليس هذا موضع ذكرها.

وإذا كان طلبة الأزهر قد أضاعوا عمود الإسلام وأعظم أركانه بعد الشهادتين فهم لما سوى ذلك من شعائر الإسلام أشد تضييعا!!

وقد روى مالك في الموطأ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى عماله: إن أهم أموركم عندي الصلاة من حفظها وحافظ عليها حفظ دينه, ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع.

وروى أبو نعيم في الحلية من طريق الأوزاعي قال كتب عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى إلى عماله: اجتنبوا الاشتغال عند حضرة الصلاة فمن أضاعها فهو لما سواها من شعائر الإسلام أشد تضييعا.

وإذا علم هذا فمن أبطل الباطل أن يقال فيمن أضاع الصلاة واستخف بها إنهم هم الطائفة المنصورة!!

وقال المصنف أيضاً في صفحة (84) ما نصه: حدثني شيخنا شيخ الديار المصرية وعالمها الشيخ محمد بخيت قال: لما قامت الحركة الوطنية عقب الحرب العظمى السابقة, واتحد هؤلاء المارقون مع الأقباط ليطالبوا بالاستقلال كان مقر اجتماعهم وقطبهم الجامع الأزهر ومنه كانت تنظم المظاهرات فكان يعمر بالأقباط, والقسس منهم يصعدون إلى المنبر خطباء مناوبة مع المصريين قال وذات يوم كان المسمى مصطفى القاياتي, وهو من المدرسين في الأزهر – هو القائل إن سعداً أفضل من النبي وإنه جاء بما لم يأت به النبي وإنه رسول الوطنية – كان هذا اللعين حاضراً معهم؛ فأخذ الصليب ووضعه في محراب الأزهر.



وقـام لعنه الله خطيبـاً, فـدعا إلى اتحـاد الإسـلام والنصـرانية القبطيـة؛ ودعا الحاضـرين إلى صـلاة ركعـتين جميعـاً – مع وضع الصـليب في المحـراب – وكـبر وصـلى ركعـتين والصـليب أمامه يصلي له ولله معا في زعمه, لعنه الله تعالى.

قـال المصـنف وقد شـاهدت كثـيراً من اجتماعـاتهم في الأزهر وخطبهم, فكـان الأزهر يكـون كـأعظم سـوق مختلطـاً بـاليهود والنصـارى والملاحـدة والفسـقه, والخطبـاء منهم يعلـون المنـابر واحداً تلو الآخر. انتهى كلامه.

وإذا كـان الجـامع الأزهر – الـذي هو قطب العلم والـدين عند المصريين, والذي هو الموضع المرمـوق المحـترم عند المصـريين وعند غـيرهم من الـدول الإسـلامية – قد انتكس إلى هـذه الحالة السيئة التي ذكرها المصنف عن مشاهدته ومشاهدة شيخه محمد بخيت, فكيف يصح مع هــذا أن يقــال إنهم على الإيمــان وإنهم الطائفة المنصورة؟! هذا لا يقوله من يعلم ما يقول.

وقال المصنف أيضاً في صفحة (108 – 109) ما نصه:

وقد نبــذت الدولة التركية أواخر أيــام إسـلامها الحكم بالفقه الإسـلامي المـأخوذ من الشـريعة أو من القواعد المنسـوبة إليها على الأقــل, وصــارت تحكم بالقــانون المــأخوذ عن الأنجــاس الأرجاس الذين قال الله فيهم (إن هم إلا كالأنعـام بل هم أضـل), واتخــذت ذلك في بلادها والبلاد الـتي كـانت تحت حكمها – ومنها الديار المصرية – فإنها أول من أسست المحاكم الأهلية, فكفـرت بذلك كفراً صراحاً, في حال ادعائها الإسلام وحماية حماه, ووجود الخلافة الإســلامية فيهـــا, قبل أن تعلن الكفر والانســـلاخ من الإسلام. انتهى كلامه.

فانظر إلى تكفـيره الدولة التركية لما حكمت بـالقوانين ونبـذت الحكم بالشـــريعة المحمدية وراء ظهورهـــا, وانظر إلى حكمه للمصــريين بالإيمــان وأنهم هم الطائفة المنصــورة!! مع أنهم قد حكمــوا بــالقوانين ونبــذوا حكم الشــريعة وراء ظهــورهم. وهــذا تناقض قبيح واتباع للهوى, ونظر إلى الأتـراك بعين البصـيرة وإلى المصريين بعين العمى.

ويلزمه أن يحكم في حق المصـــــــــريين بما حكم به في حق الأتراك, لاتحـاد سـبب الحكم في كل من الـدولتين, وإن لم يفعل فهو داخل في حكم هــذه الآيــة:(ومن أضل ممن تبع هــواه بغــير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين).

الوجه الرابع: أن الطائفة المنصورة هم أهل السنة والجماعة.



وجزم البخاري في صحيحه أنهم أهل العلم, وقال أيضاً:«باب قول الله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) وما أمر النبي بلزوم الجماعة» وهم: أهل العلم.

وقال الترمذي في جامعه: قال محمد بن إسماعيل قال علي بن المديني هم أصحاب الحديث. وكذا قال ابن المبارك وأحمد بن سنان وابن حبان وغيرهم, وبوب عليه ابن حبان في صحيحه فقال:«ذكر إثبات النصرة لأصحاب الحديث إلى قيام الساعة» ثم ساق ما يدل على ذلك. وقال يزيد بن هارون وأحمد بن حنبل: إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم, رواه عنهما الحاكم في «علوم الحديث», وقال القاضي عياض: إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث.

وعن علي بن المديني رواية أنهم العرب, واستدل بحديث «لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة».

قال والمراد بالغرب الدلو, أي العرب لأنهم أصحابها لا يستقي بها أحد غيرهم ذكره يعقوب بن شيبة ونقله عنه صاحب «المشارق» وغيره.

قلت: ويؤيد ذلك ما رواه ابن ماجه من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه, وسيأتي ذكره قريباً إن شاء الله تعالى.

وقال النووي: يحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين, منهم شجعان مقاتلون, ومنهم فقهاء, ومنهم محدثون, ومنهم زهاد, وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر, ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير. ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين, بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض انتهى.

وقد اختلف في محل هذه الطائفة, فقال ابن بطال أنها تكون في بيت المقدس, كما رواه الطبراني من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قيل: يا رسول الله أين هم؟ قال:«بيت المقدس».

وقال معاذ رضي الله عنه: هم بالشام.

وفي كلام الطبري ما يدل على أنه لا يجب أن تكون في الشام أو في بيت المقدس دائماً, بل قد تكون في موضع آخر في بعض الأزمنة.

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى: قلت يشهد له الواقع وحال أهل الشام وأهل بيت المقدس من أزمنة طويلة لا يعرف فيهم من قام بهذا الأمر بعد شيخ الإسلام ابن تيمية وأصحابه – في القرن السابع وأول الثامن – فإنهم في زمانهم على الحق يدعون إليه ويناظرون عليه ويجاهدون فيه, وقد يجيء من أمثالهم بعد



بالشام من يقـوم مقـامهم بالـدعوة إلى الحق والتمسك بالسـنة؛ والله على كل شيء قدير.

ومما يؤيد هـــذا أن أهل الحق والســـنة في زمن الأئمة الأربعة وتوافر العلماء في ذلك الزمان وقبله وبعده, لم يكونــوا في محل واحـد, بل هم في غـالب الأمصـار: في الشـام منهم أئمـة, وفي الحجـــاز, وفي مصر وفي العـــراق, واليمن, وكلهم على الحــــق, يناضـلون ويجاهـدون أهل البـدع, ولهم المصـنفات الـتي صـارت أعلاماً لأهل السنة والحجة على كل مبتدع.

فعلى هـذا فهـذه الطائفة قد تجتمع وقد تفـترق, وقد تكـون في الشام وقد تكون في غيره, فإن حـديث أبي أمامة وقـول معـاذ لا يفيد حصـرها بالشـام, وإنما يفيد أنها تكـون في الشـام في بعض الأزمان لا في كلها.

قلت: الظاهر من حديث أبي أمامة وقـول معـاذ أن ذلك إشـارة إلى محل هـــذه الطائفة في آخر الزمـــان, عند خـــروج الـــدجال ونـزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام.

والـــدليل على ذلـــك: ما رواه ابن ماجه من حـــديث أبي أمامة رضي الله عنه في ذكر الدجال, وفيه فقـالت أم شـريك بنت أبي العكر: يا رسول الله فأين العرب يومئذ؟ قال «هم قليــل, وجلهم يومئذ بــبيت المقـدس, وإمـامهم رجل صـالح, فبينما إمـامهم قد تقـدم يصـلي بهم الصـبح إذ نـــزل عليهم عيسى بن مـريم عليه الصلاة والسلام, فرجع ذلك الإمام ينكص يمشي القهقـرى ليقـدم عيسى يصـــلي, فيضع عيسى يـده بين كتفيه ثم يقـــول له تقـــدم فصل فإنها لك أقيمت, فيصلي بهم إمامهم» الحديث.

ويـــدل له أيضـاً: ما روه الإمــام أحمد وأبو داود والبخـــاري في تاريخه والحـــاكم في مســـتدركه من حـــديث عبدالله بن حوالة الأزدي رضي الله عنه قال: وضع رسول الله ﷺ يده على رأسي – أو على هــامتي – ثم قـــال:«يا ابن حوالـــة» إذا رأيت الخلافة قد نـــزلت الأرض المقدســـة, فقد دنت الـــزلازل والبلابل والأمــور العظـام, والسـاعة يومئذ أقـرب إلى النـاس من يـدي هـذه من رأسك» قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه, ووافقه الـذهبي في تلخيصه.

وفي المسند أيضـاً وجـامع الترمـذي عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «ستخرج نار من حضـرموت – أو من نحو بحر حضـرموت – قبل يــوم القيامــة, تحشر النــاس, قــالوا: يا رســول الله فما تأمرنـا؟ فقـال: عليكم بالشـام» قـال الترمـذي هـذا حـديث حسن صـحيح غـريب من حـديث ابن عمر رضي الله عنهما.



وفي المسند أيضاً وسنن أبي داود ومستدرك الحاكم عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله قال «فسطاط المسلمين يوم الملحمة الكبرى بأرض يقال لها الغوطة, فيها مدينة يقال لها دمشق؛ خير منازل المسلمين يومئذ» قال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه, ووافقه الذهبي في تلخيصه. ولفظ أبي داود «أن فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة, إلى جانب مدينة يقال لها دمشق, من خير مدائن الشام».

قال المنذري في «تهذيب السنن» قال يحيى بن معين – وقد ذكروا عنده أحاديث من ملاحم الروم فقال يحيى – ليس من حديث الشاميين شيء أصح من حديث صدقة بن خالد عن النبي أنه قال «معقل المسلمين أيام الملاحم دمشق» انتهى.

ففي هذه الأحاديث دليل على أن جل الطائفة المنصورة يكون بالشام في آخر الزمان, حيث تكون الخلافة هناك, ولا يزالون هناك ظاهرين على الحق حتى يرسل الله الريح الطيبة فتقبض كل من في قلبه إيمان, كما جاء في الأحاديث الصحيحة أن النبي قال «حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك» قال معاذ:«وهم بالشام» يعني أنهم يكونون بالشام حين يأتي أمر الله وهو هبوب الريح الطيبة.

فأما في زماننا وما قبله فهذه الطائفة متفرقة في أقطار الأرض كما يشهد له الواقع من حال هذه الأمة منذ فتحت الأمصار في عهد الخلفاء الراشدين إلى اليوم, ولا يختص بها مصر من أمصار المسلمين دون المصر الآخر.

ولكنها تكثر في بعض الأماكن أحيانا ويعظم شأنها ويظهر أمرها ببركة الدعوة إلى الله تعالى وتجديد الدين, كما وقع ذلك في الشام في زمان شيخ الإسلام ابن تيمية وأصحابه رحمة الله عليهم, وكما وقع ذلك في الجزيرة العربية في زمان شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب وأولاده وأحفاده رحمة الله عليهم أجمعين, ولم يزل أهل الجزيرة العربية في بركة من تجديدهم إلى اليوم.

الوجه الخامس: أن الذين يقاتلون في الملاحم التي ستكون في آخر الزمان ويقاتلون الدجال أيضا هم العرب: من سكان الجزيرة العربية. وليسوا بالذين ينتسبون إلى العربية, وهم بعيدون من أرضها, ولم يتحقق نسبهم إليها.

والدليل على ذلك: ما رواه الحاكم في مستدركه عن حسان بن عطية عن ذي مخمر – رجل من أصحاب النبي وهو ابن أخي النجاشي – أنه سمع رسول الله يقول «تصالحون الروم صلحاً آمناً حتى تغزون أنتم وهم عدواً من ورائهم, فتنصرون وتغنمون



وتنصرفون حتى تنزلوا بمرج ذي تلول, فيقول قائل من الروم: غلب الصليب, ويقول قائل من المسلمين: بل الله غلب, فيتداولانها بينهم فيثور المسلم إلى صليبهم وهو منهم غير بعيد فيدقه, فيثور الروم إلى كاسر صليبهم فيقتلونه, ويثور المسلمون إلى أسلحتهم فيقتتلون, فيكرم الله عز وجل تلك العصابة من المسلمين بالشهادة, فيقول الروم لصاحب الروم: كفيناك حد العرب, فيغدرون فيجتمعون للملحمة, فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً» قال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه, ووافقه الذهبي في تلخيصه.

والمقصود من هذا الحديث قول الروم لصاحبهم: كفيناك حد العرب, وأنهم يغدرون ويجتمعون للملحمة, وهذا يدل على أن الملحمة الكبرى تكون بين العرب وبين الروم, واسم العرب إذا أطلق فإنما يراد به سكان الجزيرة العربية لا غيرهم.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال «لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ, فإذا تصافوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم, فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا فيقاتلونهم, فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً, ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله, ويفتح الثلث لا يفتنون أبداً فيفتتحون قسطنطينية, فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم, فيخرجون – وذلك باطل – فإذا جاؤا الشام خرج, فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى بن مريم فأمهم, فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء, فلو تركه لانذاب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده, فيريهم دمه في حربته».

وروى ابن ماجه والطبراني والحاكم في مستدركه عن عمرو بن عوف رضي الله عنه قال سمعت النبي يقول:«لا تقوم الساعة حتى تكون رابطة من المسلمين ببولان, يا علي – قال المزني يعني علي بن أبي طالب رضي الله عنه – قال: لبيك يا رسول الله, قال: اعلم أنكم ستقاتلون بني الأصفر, ويقاتلهم من بعدكم من المؤمنين, ثم يخرج إليهم روقة المسلمين أهل الحجاز الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم حتى يفتح الله عليهم قسطنطينية ورومية بالتسبيح والتكبير» الحديث. قال ابن الأثير وابن منظور: فيخرج إليهم روقة المؤمنين أي خيارهم وسراتهم, وهي جمع رائق, من راق الشيء: إذا صفا وخلص.



وفي هـذا الحـديث والحـديث قبلـه: دليل على أن أهل الجزيـرة العربية هم الذين يقاتلون في الملاحم ويقاتلون الدجال.

وفي الصحيحين ومسند الإمـام أحمد عن أبي هريـرة رضي الله عنه أن رسـول الله قـال في بـني تميم:«هم أشد أمـتي على الـدجال» وبنو تميم: قبيلة كبـيرة من قبائل العـرب في الجزيـرة العربية.

وفي المسـند أيضا عن عكرمة بن خالد قـال: حـدثني فلان من أصحاب النبي قال: نـال رجل من بـني تميم عند رسـول الله يوما فقال:«لا تقل لبني تميم إلا خيرا فإنهم أطـول النـاس رماحا على الدجال» إسناده صحيح على شرط مسلم.

وروى الـبزار في مسـنده عن أبي هريـرة رضي الله عنـه: قـال رسول الله – وذكر بـني تميم فقـال – «هم ضـخام الهـام, ثبت الأقدام, نصار الحق في آخر الزمان, أشد قوماً على الدجال».

وفي سنن ابن ماجه عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قـال خطبنا رسول الله فكان أكثر خطبته حديثا حدثناه عن الدجال – فذكر الحديث بطوله وفيه – فقالت أم شـريك بنت أبي العكـر: يا رسـول الله فـأين العـرب يومئـذ؟ قـال «هم قليـل, وجلهم يومئذ ببيت المقدس, وإمامهم رجل صالح فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصـبح إذ نـزل عليهم عيسى بن مـريم, فرجع ذلك الإمـام ينكص يمشي القهقـرى ليقـدم عيسى يصـلي, فيضع عيسى يـده بين كتفيه ثم يقـول: تقـدم فصل فإنها لك أقيمت, فيصـلي بهم إمامهم, فـإذا انصـرف قـال عيسى عليه السـلام: افتحـوا البـاب؛ فيفتح ووراءه الـدجال, معه سـبعون ألف يهـودي كلهم ذو سـيف محلى وسـاج, فـإذا نظر إليه الـدجال ذاب كما يـذوب الملح في المـاء, وينطلق هاربـا, ويقـول عيسى عليه السـلام: إن لي فيك ضـربة لن تسـبقني بهـا, فيدركه عند بـاب اللد الشـرقي فيقتله فيهزم الله اليهود؛ فلا شـيء مما خلق الله يتـوارى به يهـودي, إلا أنطق الله ذلك الشـيء, لا حجر ولا شـجر ولا حائط ولا دابة – إلا الغرقدة فإنها من شجرهم لا تنطق – إلا قال: يا عبدالله المسـلم هذا يهودي فتعال اقتله».

قال الجوهري: الساج الطيلسان الأخضر والجمع سيجان.

وقال ابن منظور في «لسان العرب» الساج الطيلسان الضخم الغليـظ, وقيل هو الطيلسـان المقـور ينسج كـذلك, وقيل هو طيلسان أخضر, وقال ابن الأعـرابي: السـيجان الطيالسة السـود واحدها. ساج. والغرقد هو العوسج, قال النـووي: الغرقد نـوع من شـجر الشـوك معـروف ببلاد بيت المقـدس, وهنـاك يكـون قتل



الدجال واليهود, وقال أبو حنيفة الـدينوري: إذا عظمت العوسـجة صارت غرقدة.

وفي هـذه الأحـاديث دليل على أن العـرب هم الـذين يقـاتلون الدجال وجنده اليهود, وفيها رد لما زعمه المصنف في غيرهم من بني الأقباط وأصناف الأعاجم, والله أعلم.

الوجه السـادس: أن المصـريين لم ينتصـروا على الإنجلـيز ومن أعـانهم في حـربهم مع المصـريين كما زعم ذلك المصـنف, وإنما قامت الروس بحمـايتهم ومنع الإنجلـيز ومن معهم من محـاربتهم بعد أن أخـذوا منهم بعض النـواحي وكـادوا يستسـلمون للإنجلـيز بدون قيد ولا شرط.

وقد كافأ المصريون صنيع الروس معهم بقبول مذهبهم الخـبيث في الاشتراكية ودعاء المسلمين إلى قبول هذا المذهب الخبيث.

فصل

وقال المصنف في صفحة (63 – 64) ما ملخصه:

إخباره بتعلم اللغات الإفرنجية واختلاف ألسن العـرب بحسب الـدول المسـتعمرة لبلادهم, فطائفة تتكلم بالفرنسـية, وأخـرى بالإسبانية وأخرى بالإنجليزية, وأخرى بالروسية, وغيرها من ألسن الدول المستعمرة.

روى الطبراني في الأوسط والكبير من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قـال رسـول الله «إذا ظهر القـول وخـزن العمل, واختلفت الألسـن, وتباغضت القلـوب, وقطع كل ذي رحم رحمه, فعند ذلك لعنهم الله فاصمهم وأعمى أبصارهم».

وقد ذكر المصـنف هـذا الحـديث أيضا بهـذا اللفظ في صـفحة (105) ونسبه للأوسط فقط.

ثم قال: فاختلاف الألسن المذكورة في الحـديث إنما المـراد به اختلاف ألسن العـرب باللغـات الإفرنجيـة, وإلا فـاختلاف ألسن الخلق موجـود من يـوم نشر الله نسل آدم عليه السـلام في الأرض. ثم قال عن اللغة العربية إنها هي أساس الإسلام.

والجواب عن هذا من وجوه:

أحـدها: أن الحـديث الـذي أورده قد وقع فيه تحريف في الكلمة التي استدل بها على تعلم اللغات واختلاف الألسـن. والظـاهر أنه نقله من مجمع الزوائد المطبوع في القاهرة في سـنة 1353 من الهجرة النبوية, فإنه فيه كذلك, وهو تحريف بلا شك إما من الذين طبعوا الكتاب وإما من بعض النساخ قبلهم.

والحــديث قد رواه الإمــام أحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن أبي حـاتم عن سـلمان رضي الله عنه موقوفـا, ورواه الحسن بن سـفيان وأبو نعيم وابن عسـاكر عن سـلمان رضي الله عنه قـال:



قـال رسـول الله «إذا ظهر القـول وخـزن العمـل, وائتلفت الألسن, واختلفت القلـوب, وقطع كل ذي رحم رحمـه, فعند ذلك لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم».

وقال الطبراني: حدثنا علي بن عبدالعزيز حدثنا محمد بن عمـار الموصلي حـدثنا عيسى بن يـونس عن الحجـاج بن الفرافصة عن أبي عمر البصـري عن سـلمان رضي الله عنه قـال, قـال رسـول الله «إذا ظهر القول وخزن العمل, وائتلفت الألسـنة وتباغضت القلوب, وقطع كل ذي رحم رحمه, فعند ذلك لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم» هذا لفظ الحديث عند الطبراني, والعـبرة بهـذا اللفظ لا بما حرف في مجمع الزوائد.

وقد روى ابن أبي الـدنيا نحـوه عن الحسن مرسلا قـال: قـال رسـول الله «إذا أظهر النـاس العلم وضـيعوا العمـل, وتحـابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب, وتقاطعوا في الأرحام, لعنهم الله عند ذلك فأصمهم وأعمى أبصارهم».

وقد تبين مما ذكرنا أنه لا إشارة في الحديث لما ذكره المصنف من تعلم اللغات الإفرنجية واختلاف ألسن العرب بـذلك, وأنه إنما بنى كلامه في هذا الفصل على كلمة محرفة.

الوجه الثاني: أن اختلاف ألسن بني آدم إنما كـان بعد الطوفـان قال علبـاء بن أحمر عن عكرمة عن ابن عبـاس رضي الله عنهما قال كان مع نوح في السـفينة ثمـانون رجلا معهم أهلـوهم, وإنهم كانوا فيها مائة وخمسين يوما, وإن الله وجه السفينة إلى الجودي فاسـتقرت عليـه, فهبط نـوح إلى أسـفل الجـودي فـابتنى قرية وسـماها ثمـانين, فأصـبحوا ذات يـوم وقد تبلبلت ألسـنتهم على ثمـانين لغة إحـداها اللسـان العـربي, فكـان بعضـهم لا يفقه كلام بعض, فكان نوح عليه السلام يعبر عنهم.

فأما قول المصنف إن اختلاف الألسن موجود من يوم نشر الله نسل آدم في الأرض فهو قول لا دليل عليه, ويلزم عليه أن يكون بنو آدم لصلبه مختلفين في اللسـان لكل واحد منهم لغة غـير لغة أخيه, وهذا قول بعيد جدا بل ظاهر البطلان, والله أعلم.

الوجه الثالث: أن أسـاس الإسـلام شـهادة أن لا إله إلا الله وأن محمـداً رسـول اللـه, فمن أتى بها من عـربي أو عجمي حكم بإسلامه ولو كان العجمي لا يعـرف اللغة العربيـة. ولو كـان الأمر على ما زعمه المصـنف من أن أسـاس الإسـلام اللغة العربية لما صح لأحد من الأعاجم إسلام حتى يتعلم اللغة العربية, وهـذا قـول معلوم البطلان بالضرورة.

فصل

وقال المصنف في صفحة (66 وما بعدها) ما ملخصه:



إخباره بالعصريين الملاحدة الزنادقة وذكره أوصافهم التي هم عليها الآن. ثم ذكر حديث علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله «سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام, يقولون من خير قول البرية لا يجاوز إيمانهم حناجرهم, يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية, فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم» وذكر أيضا حديث ابن مسعود رضي الله عنه بنحو حديث علي رضي الله عنه.

ثم قال: فهؤلاء الأحداث المذكورون هم هذا الشباب الفاسد الكافر الملحد المارق من الدين: إلى آخر كلامه فيهم.

ثم قال: وقد ذكرهم الله تعالى في كتابه العزيز وأخبر أنهم كافرون غير مؤمنين: فقال تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) وذكر جميع الآيات الواردة في المنافقين في أول سورة البقرة إلى قوله (إن الله على كل شيء قدير).

ثم قال فهذه الآيات يزعم كثير من المفسرين أنها نازلة في المنافقين وليس كما زعموا, بل هي نازلة في هؤلاء الملاحدة المفسدين, كما بينته في كتابي:«بيان غربة الدين, بواسطة العصريين المفسدين» من وجوه تزيد على العشرين كلها قاطعة في تحقيق نزولها فيهم, وأن المنافقين إنما أدخلهم المتقدمون فيها لأنه لم يكن أمامهم غيرهم, فكانت الضرورة داعية لهم إلى تنزيلها عليهم, كما فعلوا في آيات أخرى واردة في هذا الزمان فحملوها على ما كان موجودا في زمانهم؟ كما قدمناه في قوله تعالى (وخلقنا لهم من مثله ما يركبون). وكما فعلوا في قوله تعالى (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت) الآية وغيرها.

قال: والمقصود أن هذه الآية لم تنزل في المنافقين الذين كانوا في عصر النبي , وإنما هي نازلة في هؤلاء المنافقين المارقين الملاحدة المتفرنجين والذين ولدهم الاستعمار الكافر وانتجتهم مدارسه الإفرنجية للقضاء على الإسلام.

والدليل على ذلك أمور:

ثم ذكر ما روي عن سلمان رضي الله عنه في قوله تعالى (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون) قال سلمان: لم يجيء أهل هذه الآية بعد قال: وقد قال ابن جرير يحتمل أن سلمان رضي الله عنه أراد بهذا أن الذين يأتون بهذه الصفة أعظم فساداً من الذين كانوا في زمن النبي : لا أنه عنى أنه لم يمض ممن تلك صفته أحد. قال المصنف وليس كذلك, بل مراد سلمان أن أهل هذه الآية سيكونون في آخر الزمان, وليس



المــراد بها أحــدا ممن كــان في عصر النــبي ﷺ, لأنها لا يمكن أن تنطبق عليهم إلا بتأويل وتكلف بخلاف أهلها النازلة فيهم من ملاحــدة هــذا العصر وشــبابه الفاسد فإنها منطبقة عليهم حرفــاً حرفــاً, قـــال: ولم يبق أدنى شك في أنهم المـــراد من الآيـــات المذكورة.

قــال: والثــاني – وهو من الأدلة القاطعة –: أن كلمة مصــلح لم تتداول ولم يعرف الإكثار من ذكرها: بل ولا ذكرها مطلقــاً إلا عند ظهــور هــذا النشء الفاسد المــارق, فلا تســمع كلمة مصــلح من مؤمن بالله ورسوله, وإنما تسمعها منهم حتى صارت شعاراً لهم. فتعين أن الآية نازلة فيهم لا في منــافقي عصر النــبي ﷺ, فإنه لم ينقل عنهم أنهم كــانوا يقولــون إنهم مصــلحون, ولا نقل عن واحد منهم كلمة مصلح.

قــال: والثــالث أنه لم ينقل عن المنــافقين أنهم كــانوا يفســدون في الأرض ولا كان لهم كثرة وانتشار حتى يقال إنهم أفسدوا في الأرض, وإنما الذين ملؤوا الأرض فسادا هم المارقون الملاحدة.

قــال: وأما منــافقو زمانه ﷺ فلم يحصل منهم فســاد في البقعة الصــغيرة الــتي كــانوا بها مطلقــا, فضلا عن أن يحصل منهم في الأرض, بل ما صــدر منهم مما يســمى فســادا في الأرض مقــدار شعرة بالنسبة لثور مما صــدر من هــؤلاء, بل لم يصــدر من أولئك فساد أصلا إلا ما كان في نفوســهم من الكفر القاصر عليهم, وهو النفاق, فكيف يمكن حمل الآية عليهم وهم أبرياء منها.

ثم قــال: فأقسم بالله تعــالى إن الله تعــالى ما أراد بالآيــات إلا هــؤلاء المــارقين وأنه لو رآهم المفســرون من الســلف لقطعــوا بذلك ورجعوا عن تنــزيلهم الآية على منافقي عصر النبي ﷺ.

ثم أطال الكلام في الذب عن المنافقين الــذين كــانوا في عصر النـــبي ﷺ, وذكر أنه لم يحصل منهم خـــداع لمـــؤمن واحـــد, وأن المثلين المذكورين في أول سورة البقرة لا ينطبقان عليهم, وإنما ينطبقان على ملاحدة العصريين وزنادقتهم.

ثم قال: إن النبي ﷺ سماهم مارقين من الــدين أي خــارجين منه بعد أن كــانوا داخلين فيــه, والمنــافقون لم يــدخلوا فيه يومــاً مــا, فتعين أن هؤلاء هم المراد في الآيات الكريمة.

والجواب عن هذا من وجوه:

أحــدها: أن الأحــاديث الــتي ذكرها عن علي وابن مســعود وأنس وأبي ذر ورافع بن عمــرو وأبي ســعيد رضي الله عنهم كلها واردة في الخـــوارج الـــذين قتلهم علي رضي الله عنه يـــوم النهـــروان, وليست واردة في ملاحــــدة العصــــريين وزنــــادقتهم كما توهمه



المصــنف. وكل من جــاء بعد أهل النهــروان وهو على شــاكلتهم فعموم الأحاديث الواردة فيهم يشمله معهم.

وقد جاء في بعض الروايات التي ذكر المصنف أطرافــاً منها أن النــبي قــال في الخــوارج «يحقر أحــدكم صــلاته مع صــلاتهم وصيامه مع صيامهم» وليست حال ملاحدة العصريين كذلك, فـإن الغالب عليهم الجفاء والتفريط في أمور الدين كالصـلاة والصـيام وغير ذلك من أنـواع العبـادة. وأما الخـوارج فالغـالب عليهم الغلو والإفراط والتعمق في الدين.

وأيضاً فقد جاء في بعض الروايات أن النبي قال:«آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضـعة تـدردر» وقد وجد هذا الرجل مع الخوارج يوم النهروان.

وعلى هذا فلا ينبغي حمل الأحـاديث الـواردة في الخـوارج على ملاحــدة العصــريين وزنــادقتهم وإن كـانوا مثل الخــوارج أو شــراً منهم, لأن في حملها على الملاحدة وصرفها عن الخــوارج صــرفاً لها عن المراد منها, وذلك نوع من الكذب على رسول الله .

الوجه الثاني: من عجر المصنف وبجره تبرئته للمنـافقين الـذين كـانوا في عصر النـبي مما نــزل فيهم من الآيـات من الإفسـاد في الأرض وأنه لم يصدر منهم فسـاد أصلا ولا حصل منهم خــداع لمؤمن واحد.

وهذا خطأ كبير وغلط فاحش يستغرب صدوره من رجل مسـلم فضلا عمن يدعي العلم والكمال كما سيأتي في آخر كتابه.

الوجه الثالث: أن النـبي لما جـادل عن بعض المنـافقين ظانـاً براءته مما رمي به من السرقة نهـاه الله تعـالى عن ذلك وأمـره بالاستغفار مما فعل, فقال تعالى (إنا أنــزلنا إليك الكتـاب بـالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما واستغفر الله إن الله كـان غفـوراً رحيمـا. ولا تجـادل عن الـذين يختـانون أنفسـهم إن الله لا يحب من كـان خوانــاً أثيمــا. يسـتخفون من النـاس ولا يسـتخفون من الله وهو معهم إذ يـبيتون ما لا يرضى من القول وكـان الله بما يعملـون محيطـاً. ها أنتم هـؤلاء جـادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجـادل الله عنهم يـوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا).

ولا يخفى على من له أدنى علم ومعرفة أن المصـنف قد جـادل عن المنافقين الذين كـانوا في عصر النـبي أشد الجـدال, حيث برأهم مما نـزل فيهم من القرآن وبرأهم من الإفسـاد في الأرض ومن الخداع بالكلية, فالواجب عليه الرجوع عما قـال والاسـتغفار مما فعل.



الوجه الرابع: أن المفسرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء التفسير أجمعوا على نزول الآيات من أول سورة البقرة في المنافقين الذين كانوا في عصر النبي . وقد خالفهم المصنف فبرأ المنافقين منها بغير مستند صحيح, فكان الأمر فيه كما قال الشاعر:

خلافاً لقولي من فيالة رأيه

كما قيل قبل اليوم خالف لتذكرا

قال أبو جعفر بن جرير رحمه الله تعالى في الكلام على قول الله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين): أجمع جميع أهل التأويل على أن هذه الآية نزلت في قوم من أهل النفاق. وأن هذه الصفة صفتهم.

ثم روى بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) يعني المنافقين من الأوس والخزرج ومن كان على أمرهم.

قال ابن كثير: وكذا فسرها بالمنافقين من الأوس والخزرج أبو العالية والحسن وقتادة والسدي.

قال ابن جرير: وقد سمي في حديث ابن عباس هذا أسماؤهم عن أبي بن كعب, غير أني تركت تسميتهم كراهة إطالة الكتاب بذكرهم.

قلت قد ذكر أسماءهم محمد بن إسحاق في السيرة, وكذلك ابن هشام وغيره ممن صنف في السيرة.

وقال البغوي في تفسيره نزلت في المنافقين عبدالله بن أبي ابن سلول ومعتب بن قشير وجد بن قيس وأصحابهم, حيث أظهروا كلمة الإسلام ليسلموا من النبي وأصحابه, واعتقدوا خلافها.

وروى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن صدر سورة البقرة إلى المائة منها نزل في رجال أسماهم بأعيانهم وأنسابهم, من أحبار يهود ومن المنافقين من الأوس والخزرج. قال ابن جرير: كرهنا تطويل الكتاب بذكر أسمائهم.

وروى ابن جرير أيضاً عن قتادة في قوله (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين – حتى بلغ – فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) قال هذه في المنافقين.

وروى ابن جرير أيضاً عن مجاهد قال: هذه الآية إلى ثلاث عشرة في نعت المنافقين.



وروى ابن جرير أيضـــاً من طريق إســـماعيل الســـدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما, وعن مــرة عن ابن مسعود رضي الله عنه, وعن نـاس من أصـحاب النـبي (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمـنين): هم المنـــافقون. وروى ابن جرير أيضـــاً عن الربيع بن أنس في قوله (ومن النـــاس من يقـــول آمنا بالله وبـــاليوم الآخر – إلى – فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم) قال هؤلاء أهل النفاق.

وإذا كان ابن عباس رضي الله عنهما وغـيره من أكـابر السـلف قد صرحوا بأن الآيات من أول سورة البقرة نـزلت في المنافقين من الأوس والخزرج ومن كان على أمرهم, فلا ينبغي العدول عن قولهم إلى ما خالفه من أقوال المتخرصين المتكلفين.

الوجه الخــامس: أن المصـــنف لم يكتف بمخالفة المفســرين الذين ذكرنا أقوالهم حتى زعم أنهم حملوا الآيـات من أول سـورة البقرة على غير من نـزلت فيهم, وأنهم فعلـوا مثل ذلك في قوله تعـالى (وخلقنا لهم من مثله ما يركبـون) وفي قوله تعـالى (حـتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت) الآية وغيرها مما تقدم ذكره.

وهـذا أيضـاً خطأ كبـير من المصـنف حيث قضى بصـواب نفسه فيما فســره من الآيــات بمجــرد رأيــه, وقضى بخطأ حــبر الأمة وترجمــان القــرآن ابن عبــاس رضي الله عنهما وغــيره من أئمة السلف لما خالفت أقوالهم رأيه ومذهبه.

وهــذا من قلبه للحقيقة وعكسه للقضــية, فــإن الصــواب في الحقيقة ما قاله ابن عبـاس رضي الله عنهما ومن قـال بقوله في تفسير الآيات من أول سورة البقـرة, وأنها نــزلت في المنـافقين الذين كانوا في عصر النبي . وكذلك القـول في الآية من سـورة يس, والآية من سورة يونس, وغيرهما مما تقدم ذكره, فالصواب فيها ما ذكرنا هنـاك عن أئمة السـلف, والخطأ ما قاله المصـنف فيها وفي الآيات من سورة البقرة بمجرد رأيه.

الوجه السـادس: أن الله تعـالى ذكر عن المنـافقين أنهم قـالوا إنما نحن مصلحون. قـال ابن عبـاس رضي الله عنهمـا: أي قـالوا إنما نريد الإصلاح بين الفريقين من المؤمـنين وأهل الكتـاب. رواه ابن جرير وذكر تعالى أيضا عن الإسرائيلي أنه قال لموسى. (وما تريد أن تكــون من المصــلحين) وفي هــاتين الآيــتين رد لقــول المصنف أن كلمة مصـلح لم تتـداول ولم يعـرف ذكرها مطلقا إلا عند ظهور النشء الفاسد المارق.

وأما قوله إنه لم ينقل عنهم أنهم كـانوا يقولـون إنهم مصـلحون ولا نقل عن واحد منهم كلمة مصلح. فجوابه أن يقال قد ذكر الله ذلك عنهم في كتابه – ومن أصدق من الله حديثا ومن أصـدق من



الله قيلا؟ – وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من المفسرين إنها نزلت في المنافقين من الأوس والخزرج ومن كان على أمرهم فلو أن المصنف اكتفى بما أخبر الله به في كتابه عن المنافقين, وبما قاله حبر الأمة وغيره من أكابر التابعين في ذلك لكان خيراً له من الاعتماد على مجرد رأيه.

الوجه السابع: أن الله تعالى ذكر الإفساد عن المنافقين الذين كانوا في عصر النبي ﷺ, وذكر أنهم يخادعون الله والذين آمنوا. وهذا يرد ما نفاه المصنف عنهم من الإفساد والخداع.

قال أبو جعفر بن جرير رحمه الله تعالى:«وخداع المنافق ربه والمؤمنين: إظهاره بلسانه من القول والتصديق خلاف الذي في قلبه من الشك والتكذيب, ليدرأ عن نفسه بما أظهر بلسانه حكم الله عز وجل اللازم من كان بمثل حاله من التكذيب, لو لم يظهر بلسانه ما أظهر من التصديق والإقرار, من القتل والسباء, فذلك خداعه ربه وأهل الإيمان بالله».

فإن قال قائل: وكيف يكون المنافق لله وللمؤمنين مخادعا وهو لا يظهر بلسانه خلاف ما هو له معتقد إلا تقية؟

قيل: لا تمتنع العرب من أن تسمي من أعطي بلسانه غير الذي هو في ضميره تقية لينجو مما هو له خائف, فنجا بذلك مما خافه مخادعاً لمن تخلص منه بالذي أظهر له من التقية, فكذلك المنافق سمي مخادعاً لله وللمؤمنين بإظهاره ما أظهر بلسانه تقية مما تخلص به من القتل والسباء والعذاب العاجل, وهو لغير ما أظهر مستبطن, وذلك من فعله – وإن كان خداعاً للمؤمنين في عاجل الدنيا فهو لنفسه بذلك من فعله خادع لأنه يظهر لها بفعله ذلك بها أنه يعطيها أمنيتها, ويسقيها كأس سرورها. وهو موردها به حياض عطبها, ومجرعها به كأس عذابها ومزيرها من غضب الله وأليم عقابه ما لا قبل لها به, فذلك خديعته لنفسه ظناً منه – مع إساءته إليها في أمر معادها – أنه إليها محسن, كما قال جل ثناؤه (وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون). إعلاماً منه عباده المؤمنين أن المنافقين بإساءتهم إلى أنفسهم في إسخاطهم ربهم بكفرهم وشكهم وتكذيبهم غير شاعرين ولا دارين, ولكنهم على عمياء من أمرهم مقيمون.

ثم قال حدثني يونس بن عبدالأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال سألت عبدالرحمن بن زيد عن قول الله جل ذكره (يخادعون الله والذين آمنوا). إلى آخر الآية. قال «هؤلاء المنافقون يخادعون الله والذين آمنوا أنهم مؤمنون بما أظهروا».



وروى ابن أبي حـاتم عن ابن جـريج في قوله تعـالى (يخـادعون الله) قال يظهرون لا إله إلا الله, يريدون أن يحرزوا بذلك دماءهم وأموالهم, وفي أنفسهم غير ذلك.

وأما إفسـادهم في الأرض فقـال السـدي في تفسـيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمـداني عن ابن مسعود, وعن أناس من أصحاب النبي (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون) قال: هم المنـافقون. أما (لا تفسـدوا في الأرض) فـإن الفسـاد هو الكفر والعمل بالمعصـية. ورواه ابن جرير من طريق السدي.

وقـال ابن جـريج عن مجاهـد:(وإذا قيل لهم لا تفسـدوا في الأرض) قال: إذا ركبوا معصية الله فقيل لهم لا تفعلـوا كـذا وكـذا قالوا إنما نحن على الهـدى مصـلحون. رواه ابن جريـر: وقـال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعـالى (وإذا قيل لهم لا تفسـدوا في الأرض) قـال: يعـني لا تعصـوا في الأرض, وكـان فسـادهم ذلك معصـية الله لأن من عصى الله في الأرض أو أمر بمعصـية فقد أفسد في الأرض, لأن صـلاح الأرض والسماء بالطاعة.

قال ابن كثير: وهكذا قال الربيع بن أنس وقتادة.

وروى ابن جرير وغيره عن سـلمان الفارسي رضي الله عنه أنه قال في هذه الآية (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قـالوا إنما نحن مصلحون) قال: ما جاء هؤلاء بعد.

قال ابن جرير: وأولى التأويلين بالآية تأويل من قـال إنها نـزلت في المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله , وإن كان معنياً بها كل من كـان بمثل صـفتهم من المنـافقين بعـدهم إلى يـوم القيامة.

وقد يحتمل قول سلمان عند تلاوة هـذه الآية ما جـاء هـؤلاء بعد أن يكون قاله بعد فناء الذين كانوا بهذه الصـفة على عهد رسـول الله خـبراً منه عمن هو جـاء منهم بعـدهم ولما يجيء بعد لا أنه عنى أنه لم يمض ممن هذه صفته أحد.

وإنما قلنا أولى التأويلين بالآية ما ذكرنا, لإجمـاع الحجة من أهل التأويل على أن ذلك صفة من كان بين ظهـراني أصحاب رسـول الله على عهد رسـول الله من المنـافقين, وأن هـذه الآيـات فيهم نـزلت.

والتأويل المجمع عليه أولى بتأويل القرآن من قول لا دلالة على صحته من أصل ولا نظير[2].

---

[2] (?)لعله نظر.



والإفساد في الأرض: العمل فيها بما نهى الله جل ثناؤه عنه, وتضييع ما أمر الله بحفظه, فذلك جملة الإفساد.

– إلى أن قال – فكذلك صفة أهل النفاق, مفسدون في الأرض بمعصيتهم فيها ربهم, وركوبهم فيها ما نهاهم عن ركوبه, وتضييعهم فرائضه, وشكهم في دين الله الذي لا يقبل من أحد عملا إلا بالتصديق به والإيقان بحقيقته, وكذبهم المؤمنين بدعواهم غير ما هم عليه مقيمون من الشك والريب, وبمظاهرتهم أهل التكذيب بالله وكتبه ورسله على أولياء الله إذا وجدوا إلى ذلك سبيلا. فذلك إفساد المنافقين في أرض الله وهم يحسبون أنهم بفعلهم ذلك مصلحون فيها».

قال ابن كثير: وهذا الذي قاله حسن, فإن من الفساد في الأرض: اتخاذ المؤمنين الكافرين أولياء كما قال تعالى (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير).

قلت: ومن إفساد المنافقين الذين كانوا في عصر النبي بناؤهم لمسجد الضرار الذي قال الله تعالى فيه (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون).

فالمنافقون بنوا مسجدهم ضرارا لمسجد قباء, وكفرا بالله ورسوله, وتفريقا بين المؤمنين, وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل. وهو أبو عامر الفاسق الذي كان يقال له الراهب, وكان قد كتب إلى المنافقين يعدهم ويمنيهم أنه سيقدم من عند ملك الروم بجيش يقاتل به رسول الله ويغلبه ويرده عما هو فيه, وأمرهم أن يتخذوا له معقلا يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده الأداء كتبه, ويكون مرصدا له إذا قدم عليهم بعد ذلك. وهذا من أعظم الإفساد في الأرض, قال الله تعالى (وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون).

وقولهم ههنا إن أردنا إلا الحسنى: هو كقولهم (إنما نحن مصلحون).

قال الله تعالى (ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون).

ومن إفساد المنافقين أيضا: همهم بالفتك برسول الله لما قفل من غزوة تبوك. قال ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة ابن الزبير قال لما قفل رسول الله من تبوك إلى المدينة همّ جماعة من المنافقين بالفتك به, وأن يطرحوه من رأس عقبة في الطريق, فأخبر بخبرهم فأمر الناس بالمسير من الوادي وصعد هو العقبة وسلكها معه أولئك النفر وقد تلثموا, وأمر رسول الله



ﷺ عمـار بن ياسر وحذيفة بن اليمـان أن يمشـيا معـه, عمـار آخذ بزمام الناقة وحذيفة يسوقها, فبينما هم يسيرون «سمعوا بالقوم قد غشــوهم, فغضب رســول الله ﷺ وأبصر حذيفة غضــبه فرجع إليهم ومعه محجن فاســتقبل وجــوه رواحلهم بمحجنــه, فلما رأوا حذيفة ظنوا أن قد أظهر ما أضـمروه من الأمر العظيم فأسـرعوا حــتى خــالطوا النــاس, وأقبل حذيفة حــتى أدرك رســول الله ﷺ فأمرهما فأسرعا حتى قطعوا العقبة ووقفوا ينتظرون النـاس, ثم قال رسول الله ﷺ لحذيفـة:«هل عـرفت هـؤلاء القـوم؟» قـال ما عـــــرفت إلا رواحلهم في ظلمة الليل حين غشـــــيتهم. ثم قال:«علمتما ما كان من شأن هؤلاء الركب؟» قـالا: لا, فأخبرهما بما كانوا تمالؤوا عليه, وسـماهم لهما واسـتكتمهما ذلـك, فقـالا يا رسول الله أفلا تأمر بقتلهم؟ فقال:«أكـره أن يتحـدث النـاس أن محمداً يقتل أصحابه» وهكذا ذكره ابن كثير في تاريخه.

قـال: وقد ذكر ابن إسـحاق هـذه القصة إلا أنه ذكر أن النـبي ﷺ إنما أعلم بأسـمائهم حذيفة بن اليمــان وحــده وهــذا هو الأشـبه. ويشــهد له قــول أبي الــدرداء لعلقمة أليس فيكم صـاحب السر الذي لا يعلمه غيره – يعني حذيفة –.

وذكر ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ بعث إليهم حذيفة بن اليمان فجمعهم له فــأخبرهم رســول الله ﷺ بما كــان من أمــرهم وما تمالؤوا عليه – ثم سرد ابن إسحاق أسماءهم, قال – وفيهم أنـزل الله عز وجل (وهموا بما لم ينالوا).

وقد روى البيهقي من حديث أبي البختري عن حذيفة رضي الله عنه نحو ما تقدم.

وزاد في آخـــره أن النـــبي ﷺ دعا عليهم فقـــال:«اللهم ارمهم بالدبيلة, قلنا: يا رسول الله وما الدبيلـة» «قـال: هي شـهاب من نار يقع على نياط قلب أحدهم فيهلك».

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي الطفيل عـامر بن واثلة رضي الله عنه نحو ما تقـدم, وإسـناده صـحيح على شـرط مسلم.

ومن إفساد المنافقين أيضا: رجوع عبدالله بن أبي بثلث الجيش يـوم أحد وتخذيله النـاس عن القتـال مع رسـول الله ﷺ وأصـحابه قــال الله تعــالى (وما أصــابكم يــوم التقى الجمعــان فبــإذن الله وليعلم المؤمنين. وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قــاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعنــاكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولـون بـأفواههم ما ليس في قلـوبهم والله أعلم بما يكتمـون. الـذين قــالوا لإخــوانهم وقعـدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرؤوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين).



قـال محمد بن إسـحاق حـدثني محمد بن مسـلم بن شـهاب الزهـري ومحمد بن يحـيى بن حبـان وعاصم بن عمر بن قتـادة والحصين بن عبدالرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغـيرهم من علمائنا, كلهم قد حدث قالوا: خرج رسول الله يعني حين خـرج إلى أحد في ألف رجل من أصـحابه, حـتى إذا كـان بالشـوط بين أحد والمدينة انحـاز عنه عبدالله بن أبي بن سـلول بثلث النـاس فقال: أطاعهم وعصاني, ووالله ما نـدري علام نقتل أنفسـنا ههنا أيها النـاس. فرجع بمن اتبعه من النـاس من قومه أهل النفـاق وأهل الريب, واتبعهم عبدالله بن عمرو بن حرام أخو بـني سـلمة يقول: يا قوم أذكركم الله أن تخذلوا نبيكم وقـومكم عنـدما حضر عدوكم, قـالوا: لو نعلم أنكم تقـاتلون ما أسـلمناكم ولكن لا نـرى أن يكون قتال, فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم قال: أبعدكم الله أعداء الله فسيغني الله عنكم نبيه .

ومن إفساد المنافقين أيضا: ما ذكره الله عنهم في قوله تعـالى (لو خرجـوا فيكم ما زادوكم إلا خبـالا ولأوضـعوا خلالكم يبغـونكم الفتنة وفيكم سـماعون لهم والله عليم بالظـالمين. لقد ابتغـوا الفتنة من قبل وقلبـوا لك الأمـور حـتى جـاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون. ومنهم من يقـول ائـذن لي ولا تفتـني ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين).

وقال تعالى (وإذ يقول المنافقون والذين في قلـوبهم مـرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا. وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يـثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عـورة وما هي بعـورة إن يريـدون إلا فـرارا ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا – إلى قوله – قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا) الآية.

ومن إفسـاد المنـافقين أيضـا: أذيتهم لرسـول الله بـالقول السـيء, واسـتهزاؤهم به وأصـحابه, كما ذكر الله ذلك عنهم في سورة براءة, وسورة المنافقين.

وكقـول عبدالله بن أبي: والله ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قـال القائل: سمِّن كلبك يأكلك.

وكقول بعضهم: ما رأينا مثل قراءنا هؤلاء ارغب بطونا ولا أكذب ألسنا, ولا أجبن عند اللقاء, يعنون رسول الله وأصحابه.

ومن إفسـاد المنـافقين أيضـاً: أمـرهم بـالمنكر ونهيهم عن المعروف, كما ذكره الله عنهم في سورة براءة.

وكل هذا من الفساد المتعدي شره وضرره إلى الغير.



وإذا كـــان الأمر في المنـــافقين كما ذكرنـــا, مع أنه أعظم مما ذكرنا بكثير, فكيف يستجيز المصنف أن يقول إنه لم يصــدر منهم فساد أصلا إلا ما كان في نفوسهم من الكفر القاصر عليهم!

ولو قال قائل إن الإفسـاد الـذي صـدر من المنـافقين في عصر النبي أعظم مما صدر من ملاحدة العصـريين وزنـادقتهم لكـان قوله أقرب إلى الصواب من قول المصـنف, لأن من آذى رسـول الله وهمّ بالفتك به وسـعى فيما يـوهن أمـره ليس كمن آذى آحاد المسلمين وسعى فيما يضرهم. والله أعلم.

الوجه الثامن: ما رواه السـدي في تفسـيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس, وعن مـرة الهمـداني عن ابن مسـعود, وعن ناس من أصـحاب النـبي (مثلهم كمثل الـذي اسـتوقد نـار فلما أضـاءت ما حوله ذهب الله بنـورهم وتـركهم في ظلمـات لا يبصــرون) زعم أن أناســاً دخلــوا في الإســلام مقــدم النــبي المدينة, ثم إنهم نـافقوا, فكـان مثلهم كمثل رجل كـان في ظلمة فأوقد نـاراً فأضـاءت له ما حوله من قـذى أو أذى فأبصـره حـتى عـرف ما يتقي, فبينا هو كـذلك إذ طفئت نـاره فأقبل لا يـدري ما يتقي من أذى, فكـذلك المنـافق كـان في ظلمة الشـرك فأسـلم فعرف الحلال من الحرام والخير من الشر؛ فبينا هو كذلك إذ كفر فصار لا يعرف الحلال من الحرام ولا الخير من الشــر. ورواه ابن جرير من طريق السدي.

وروى أيضا من طريق الســدي عن أبي مالك وعن أبي صــالح عن ابن عبــاس, وعن مــرة عن ابن مســعود, وعن نــاس من أصحاب النبي (أو كصيب من السماء فيه ظلمـات ورعد وبـرق – إلى – إن الله على كل شيء قدير). كان رجلان من المنــافقين من أهل المدينة هربا من رسول الله إلى المشركين فأصـابهما هذا المطر الذي ذكر الله, فيه رعد شديد وصواعق وبــرق, فجعلا كلما أضـاء لهما الصـواعق جعلا أصـابعهما في آذانهما من الفـرق أن تدخل الصواعق في مسامعها فتقتلهما, وإذا لمع الـبرق مشـيا في ضــوئه وإذا لم يلمع لم يبصــرا, وقاما مكانهما لا يمشــيان, فجعلا يقولان ليتنا قد أصبحنا فنأتي محمـداً فنضع أيـدينا في يـده فأصبحا فأتياه فأسلما ووضعا أيديهما في يـده, وحسن إسـلامهما, فضرب الله شأن هذين المنافقين الخارجين مثلا للمنافقين الذين بالمدينة.

وفي هــذين الأثــرين عن حــبري الأمة رد لقــول المصــنف إن المثلين المـذكورين لا ينطبقـان على المنـافقين الـذين كـانوا في عصر النبي .



الوجه التاسع أن الله تعالى أثبت الإيمان ثم الكفر للمنافقين الذين كانوا في عصر النبي ﷺ, فقال تعالى (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) وقد نزلت سورة المنافقين في شأن عبدالله بن أبي وأصحابه من المنافقين, وفيها رد لقول المصنف إن المنافقين لم يدخلوا في الدين يوماً ما.

ومما يرد عليه أيضا قول الله تعالى (لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) وقوله تعالى (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا) الآية.

الوجه العاشر: أن المنافقين في زمن النبي ﷺ كانوا هم السلف الطالح لجميع المنافقين بعدهم إلى يوم القيامة, فما أنزل في أولئك وهو صالح للعموم فهو عام لمن بعدهم من المنافقين إلى يوم القيامة, لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

فلو أن المصنف قال إن الآيات من أول سورة البقرة تشمل المنافقين الذين كانوا في زمن النبي ﷺ ومن كان بعدهم من المنافقين ومنهم ملاحدة العصريين وزنادقهم لكان أولى به من تبرئة المنافقين الأولين مما نزل فيهم.

فصل

وفي صفحة (75).

ذكر المصنف ما رواه أنس وأبو ذر ورافع بن عمرو الغفاري وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهم عن النبي ﷺ في وصف الخوارج, وفي كل منها أنه قال:«سيماهم التحليق» ثم قال في صفحة (76) ما نصه.

واعلم أن الأحاديث الواردة في هؤلاء المارقين مشابهة للأحاديث الواردة في الخوارج.

وهم وإن كانوا كلهم خوارج عن الدين, وكلهم كلاب النار كما قال النبي ﷺ, إلا أنهم على قسمين.

فالقسم المعروف بهذا الاسم الخاص: ورد وصفهم بالتنطع في الدين والغلو فيه وأن أحدنا يحقر صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم.

والقسم الثاني الذين هم ملاحدة هذا العصر, ورد في وصفهم أنهم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام وأن علامتهم التحليق.

ولما طلع قرن الشيطان بنجد في أواخر القرن الحادي عشر وانتشرت فتنته كان العلماء يحملون جميع هذه الأحاديث عليه وعلى أصحابه لأنه لم يكن ظهر هذا النوع من الخوارج الملاحدة.

والجواب عن هذا من وجوه:

أحدها:



أن الروايات الواردة في طلوع قرن الشيطان من المشرق كلها عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما وقد صرح في بعضها أن المراد بالمشرق أرض العراق فبطل بذلك كل ما يتعلق به الملاحدة على أهل الجزيرة العربية.

وأنا أذكر ههنا جميع الروايات عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ ليعلم بطلان ما ذهب إليه المصنف ومن شاكله من الملاحدة الذين يرمون النجديين بما ليس فيهم.

ففي الصحيحين ومسند الإمام أحمد من حديث نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله وهو مستقبل المشرق يقول «ألا إن الفتنة ههنا ألا إن الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان» وفي رواية لمسلم عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله قام عند باب حفصة فقال بيده نحو المشرق:«الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان» قالها مرتين أو ثلاثا. وقال عبيد الله بن سعيد – وهو أحد شيوخ مسلم – في روايته: قام رسول الله عند باب عائشة.

ورواه الإمام أحمد وقال كان قائما عند باب عائشة.

وقد رواه مالك وأحمد والبخاري من حديث عبدالله بن دينار سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول قال رسول الله – وأشار بيده نحو المشرق – فقال «ها إن الفتن من ههنا, إن الفتن من ههنا إن الفتن من ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان» هذا لفظ إحدى روايات أحمد.

وروى الإمام أحمد أيضا والشيخان والترمذي من حديث الزهري عن سالم عن أبيه عن النبي أنه قام إلى جنب المنبر فقال الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان أو قال قرن الشمس هذا لفظ البخاري ولفظ مسلم أن رسول الله قال وهو مستقبل المشرق «ها إن الفتنة ههنا, ها إن الفتنة ههنا, ها إن الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان». وفي رواية الترمذي قام رسول الله على المنبر فقال «ههنا أرض الفتن – وأشار إلى المشرق حيث يطلع قرن الشيطان, أو قال قرن الشمس» قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

ورواه الإمام أحمد ومسلم أيضا من حديث حنظلة, وهو ابن أبي سفيان المكي قال سمعت سالما يقول سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول سمعت رسول الله يشير بيده نحو المشرق ويقول «ها إن الفتنة ههنا,ها إن الفتنة ههنا, ها إن الفتنة ههنا, من حيث يطلع الشيطان قرنيه» هذا لفظ أحمد.

وفي رواية له أخرى عن حنظلة عن سالم بن عبدالله بن عمر عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله يشير



بيـده يـؤم العـراق «ها إن الفتنة ههنـا, ها إن الفتنة ههنـا, ها إن الفتنة ههنـا, من حيث يطلع قـرن الشـيطان». إسـناده صـحيح, رجاله كلهم من رجال الصحيحين.

وفي هذه الرواية فائدة جليلة, وهي البيـان بـأن منشأ الفتن من جهة العـراق, لا من جهة نجد الـتي هي أرض العـرب, ففيها رد على من زعم من الملاحـــدة أن المـــراد بـــذلك أرض العـــرب. وسيأتي ما يشهد لهذه الرواية من حـديث عمر وابنه وابن عبـاس رضي الله عنهم.

ورواه الإمـام أحمد ومسـلم أيضاً من حـديث عكرمة بن عمـار عن سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله من بيت عائشة رضي الله عنها فقال:«رأس الكفر من ههنـا, من حيث يطلع قرن الشيطان» يعني المشرق.

ورواه مسلم أيضاً من حديث ابن فضيل عن أبيه قـال: سـمعت سـالم بن عبدالله بن عمر يقـول: يا أهل العـراق ما أسـألكم عن الصـغيرة وأركبكم للكبـيرة, سـمعت أبي عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يقول: سـمعت رسـول الله يقـول:«إن الفتنة تجيء من ههنا – وأومأ بيـــــده نحو المشـــــرق– من حيث يطلع قرنا الشيطان». وأنتم يضرب بعضـكم رقـاب بعض, وإنما قتل موسى الـذي قتل من آل فرعـون خطأ فقـال الله عز وجل لـه:(وقتلت نفساً فنجيناك من الغم وفتناك فتوناً).

وروى الإمام أحمد والبخاري والترمذي من حديث ابن عـون عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما, أن النبي قال:«اللهم بارك لنا في شامنا, اللهم بارك لنا في يمننـا, قـالوا: وفي نجـدنا, قـال: اللهم بـارك لنا في شـامنا, اللهم بـارك لنا في يمننـا, قـالوا: وفي نجدنا, قال: هنالك الزلازل والفتن, منها – أو قال بها – يطلع قرن الشيطان» قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

ورواه الإمـام أحمد من حـديث عبـدالرحمن بن عطـاء عن نـافع عن ابن عمر رضي الله عنها أن رسول الله قـال «اللهم بـارك لنا في شـامنا ويمننا – مـرتين – فقـال رجـل: وفي مشـرقنا يا رسول الله, فقال رسول الله : من هنالك يطلع قرن الشيطان, ولها تسعة أعشار الشر» قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غـير عبدالرحمن بن عطاء وهو ثقة وفيه خلاف لا يضر.

وقد رواه الطـــبراني في الأوسط ولفظه أن رســـول الله قـال:«اللهم بـارك لنا في شـامنا وفي يمننـا, وقـال رجـل: وفي مشـرقنا يا رسـول اللـه, فقـال: اللهم بـارك لنا في شـامنا وفي يمننا, فقال رجل: وفي مشرقنا يا رسول الله فقـال: اللهم بـارك



لنا في شامنا وفي يمننا؛ إن من هنالك يطلع قرن الشيطان, وبه تسعة أعشار الكفر, وبه الداء العضال».

ورواه الإمام أحمد من حديث بشر بن حرب سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول: سمعت رسول الله يقول:«اللهم بارك لنا في مدينتنا, وفي صاعنا ومدنا, ويمننا وشامنا - ثم استقبل مطلع الشمس - فقال: من ههنا يطلع قرن الشيطان, من ههنا الزلازل والفتن» ...هنا إضافة بخط اليد لم تفهم...

وعن مالك أنه بلغه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد أن يخرج إلى العراق فقال له كعب الأحبار: لا تخرج إليها فإن بها تسعة أعشار السحر, وبها الداء العضال. ذكره في الموطأ.

قال الخطابي: القرن الأمة من الناس يحدثون بعد فناء آخرين وقرن الحية أن يضرب المثل فيما لا يحمد من الأمور. نقله عنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري. قال: وقال غيره كان أهل المشرق يومئذ أهل كفر فأخبر أن الفتنة تكون من تلك الناحية, فكان كما أخبر. وأول الفتن كان من قبل المشرق فكان ذلك سبباً للفرقة بين المسلمين, وذلك مما يحبه الشيطان ويفرح به. وكذلك البدع نشأت من تلك الجهة.

وقال الخطابي: نَجْد من جهة المشرق, ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها, وهي مشرق أهل المدينة. وأصل النجد ما ارتفع من الأرض, وهو خلاف الغور, فإنه ما انخفض منها, وتهامة كلها من الغور ومكة من تهامة.

قال الحافظ ابن حجر وعرف بهذا وهاء ما قاله الداودي أن نجداً من ناحية العراق؛ فإنه توهم أن نجداً موضع مخصوص, وليس كذلك بل كل شيء ارتفع بالنسبة إلى ما يليه يسمى المرتفع نجداً والمنخفض غوراً.

قلت: وقد تقدم ما رواه سالم بن عبدالله بن عمر عن أبيه رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله يشير بيده يؤم العراق «ها إن الفتنة ههنا» الحديث ...هنا إضافة بخط اليد لم تفهم... كقولهم: وفي نجدنا, وقولهم وفي مشرقنا.

فالمراد بذلك كله أرض العراق وما يليه من المشرق وقد وقع مصداق ذلك فكان قتل عثمان رضي الله عنه على أيدي أهل العراق ومن مالأهم من أجلاف أهل مصر, وبقتله انفتح باب الفتن إلى يوم القيامة.

وكانت في العراق وقعة الجمل, ووقعة صفين.

وفيه قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما وأصحابه. وكانت فيه أيضاً فتنة المختار بن أبي عبيد, وفتنة الحجاج بن يوسف. وغير ذلك من الفتن العظيمة.



وكذلك كانت فتنة بني العباس ودعاتهم في العراق وخراسان وكذلك فتن الأهواء المضلة فكلها ظهرت أول ما ظهرت بأرض العراق كفتنة الخوارج, والرافضة, والقدرية, والمرجئة, والمعتزلة؛ والجهمية.

ثم انتشرت بعد ذلك في أرجاء الأرض.

ولم يزل العراق موضع هرج وفتن في الدين وآخر ذلك فتنة المسيح الدجال, وهي أعظم فتنة تكون على وجه الأرض.

وقد جاء في بعض الأحاديث أنه يخرج من العراق.

وفي بعضها أنه يخرج من خراسان.

وعلى هذا فيحتمل أنه أراد بقوله قرني الشيطان أول الفتن وآخرها وما بين ذلك من الفتن العظيمة.

ويحتمل أنه أراد بذلك فتنة الهرج وفتنة الأهواء المضلة. والله أعلم بمراد رسول الله ...هنا إضافة بخط اليد لم تفهم...

الوجه الثاني: أن المصنف أراد بطلوع قرن الشيطان بنجد ظهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب قدس الله روحه. وقد سمى أهل نجد بالقرنيين في صفحة (50 و127) من كتابه.

وهذا من البهتان والإثم المبين, لكونه وصفهم بصفة ذميمة لم ترد فيهم, وإنما وردت في غيرهم. وقد قال الله تعالى (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي قال:(من ذكر امرأً بشيء ليس فيه ليعيبه به حبسه الله في نار جهنم حتى يأتي بنفاذ ما قاله فيه) رواه الطبراني, قال المنذري: وإسناده جيد. وفي رواية له «أيما رجل أشاع على رجل مسلم بكلمة وهو منها بريء يشينه بها في الدنيا كان حقاً على الله أن يذيبه يوم القيامة في النار حتى يأتي بنفاذ ما قال».

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله يقول «من قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قاله» رواه الإمام أحمد وأبو داود والطبراني وزاد «وليس بخارج».

الوجه الثالث: أن الله تعالى قال (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) وقد زعم المصنف في آخر كتابه أنه من القائمين بالكتاب والسنة ثم خالف قوله بفعله في مواضع كثيرة من كتابه. ومنها هذا الموضع, حيث لم يتثبت في أمر الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأهل نجد, وتسرع إلى وصفهم بصفة مضادة لصفتهم في الحقيقة. ولو أنه تثبت في أمر الشيخ والنجديين كما تثبت



علماء الدين لظهر له ما ظهر لهم من براءة الشيخ والنجديين مما رماهم به علماء الزيغ والضلال من البهتان والإثم المبين.

الوجه الرابع: أن ظهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله وتجديده للدين في أرض نجد كان في أواخر القرن الثاني عشر من الهجرة, لا في أواخر القرن الحادي عشر كما زعمه المصنف.

الوجه الخامس: من فساد تصور المصنف جعله تجديد الدين ونشر السنة في البلاد النجدية نشراً للفتنة فيها. وهذا شأن أهل البدع الذين نكست قلوبهم فصاروا يرون الحق في صورة الباطل والباطل في صورة الحق, عياذاً بالله من عمى البصيرة.

الوجه السادس: من عجيب أمر المصنف حكمه للمصريين بالإيمان, وأنهم الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة, كما تقدم ذكر ذلك – وحكمه على الإمام المجدد للدين بأنه قرن الشيطان, وأنه نشر الفتنة, وتسميته للنجديين بالقرنيين. ولا يخفى على من له أدنى علم ومعرفة أن الأمر في كل من الفريقين بالعكس مما قال فيه.

فأما الشيخ محمد بن عبدالوهاب قدس الله روحه فإنه قام بالدعوة إلى الله تعالى أتم القيام, فجعل الله تعالى في قيامه أعظم البركة, وجدد الله به دين الإسلام بعد اندراسه, ونشر به السنة في أرض الجزيرة العربية وغيرها وقمع به البدعة, وطهر به بلاد نجد من أمور الجاهلية.

وكذلك كان أولاده وأحفاده وتلاميذه, وتلاميذ أولاده وأحفاده, وغيرهم من علماء نجد الأعلام, فكلهم كانوا على الصراط المستقيم والمنهج القويم, يدعون إلى الله تعالى على بصيرة ويجاهدون أهل الشرك والبدع وكتبهم ورسائلهم شاهدة بما ذكرته عنهم.

وأما المصريون فقد تقدم ما ذكرناه عنهم من الافتتان بالقبور, ودعاء أهلها والالتجاء إليهم في طلب الحاجات وتفريج الكربات وإغاثة اللهفات, وأن البدع والخرافات وأنواع المعاصي والمنكرات كانت فاشية عندهم بكثرة, وأنهم نبذوا حكم الشريعة المحمدية وراء ظهورهم واعتاضوا عنها بالقوانين الوضعية التي هي من حكم الطاغوت والجاهلية, وأنهم افتتنوا بالاشتراكية الخبيثة, مع تمسكهم بالتقاليد الإفرنجية في كل جليل وحقير من أمورهم. إلى غير ذلك مما ذكرناه ولم نذكره مما يطول وصفه.

ومع هذا يقول المصنف عنهم إنهم على الحق, وإنهم الطائفة المنصورة.



ويقـول في الشـيخ محمد بن عبـدالوهاب قـدس الله روحه إنه قـــرن الشـــيطان, وإنه نشر الفتنـــة, وإن النجـــديين هم قـــرن الشـيطان. وهـذا من قلب الحقيقة وعكس القضـية في كل من الفريقين.

وما أشبه حال المصنف بالـذين قـال الله تعـالى فيهم (أفـرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سـمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون).

الوجه السابع: أن المصنف قال عن العلماء إنهم كـانوا يحملـون الأحاديث الواردة في الخوارج على الشـيخ محمد بن عبـدالوهاب وعلى أصحابه. وهذا الكلام فيه إيهام وتلبيس على من جهل حـال الشيخ محمد بن عبدالوهاب, كما أن فيه افتراء على علماء الدين وجوابه أن يقال:

أما علمـاء الزيغ والضـلال, من المفتـونين بـالقبور وأهل البـدع والأهواء ومن شاكلهم فإنهم قد أظهروا العداوة للشـيخ محمد بن عبدالوهاب وأصحابه, ورموهم بكل ما يرون أنه يعيبهم ويحط من قـــدرهم, فقـــالوا كـــذباً وزوراً إنهم خـــوارج, وقـــالوا إنهم قـــرن الشـيطان, وقـالوا إنهم نشـروا الفتنـة, وقـالوا إنهم يبغضـون الرسول ﷺ, إلى غير ذلك مما بهتوهم به وافتروه عليهم.

وأما علمـاء الـدين فـإنهم شـهدوا للشـيخ محمد بن عبـدالوهاب رحمه الله تعــالى أنه أظهر توحيد اللــه؛ وجــدد دينه ودعا إليــه, واعترفوا بعلمه وفضله وهدايته, وأثنوا عليه نظما ونثرا.

فمن ذلك ما قاله عالم اليمن الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني رحمه الله تعالى.

قفي واسألي عن عالم حل سوحها
به يهتدي من ضل عن منهج الرشد

محمد الهادي لسنة أحمد
فيا حبذا الهادي ويا حبذا المهدي

لقد أنكرت كل الطوائف قوله
بلا صدر في الحق منهم ولا ورد

وقد جاءت الأخبار عنه بأنه



يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدي

وينشر جهراً ما طوى كل جاهل

ومبتدع منه فوافق ما عندي

ويعمر أركان الشريعة هادماً

مشاهد ضل الناس فيها الرشد

أعادوا بها معنى سواع ومثله

يغوث وود بئس ذلك من ود

وقد هتفوا عند الشدائد باسمها

كما يهتف المضطر بالصمد الفرد

وكم عقروا في سوحها من عقيرة

أهلت لغير الله جهراً على عمد

وكم طائف حول القبور مقبل

ويستلم الأركان منهن بالأيدي

لقد سرني ما جاءني من طريقه

وكنت أرى هذي الطريقة لي وحدي

وقال عالم الإحساء حسين بن غنام رحمه الله تعالى:

لقد رفع المولى به رتبة الهدى

بوقت به يعلى الضلال ويرفع

سقاه نمير الفهم مولاه فارتوى



وعام بتيار المعارف يقطع

فأحيا به التوحيد بعد اندراسه

وأقوى به من مظلم الشرك مهيع

سما ذروة المجد التي ما ارتقى لها

سواه ولا حاذى فناها سميدع

وشمر في منهاج سنة أحمد

يشيد ويحيي ما تعفى ويرقع

يناظر بالآيات والسنة التي

أمرنا إليها في التنازع نرجع

فأضحت به السمحاء يبسم ثغرها

وأمسى محياها يضيء ويلمع

وعاد به نهج الغواية طامساً

وقد كان مسلوكاً به الناس تربع

وجرت به نجد ذيول افتخارها

وحق لها بالألمعي ترفع

فآثاره فيها سوام سوافر

وأنواره فيها تضيء وتسطع

وقال العلامة محمد بن علي الشوكاني اليمني رحمه الله تعالى:

إمام الورى علامة العصر قدوتي

وشيخ الشيوخ الحبر فرد الفضائل



محمد ذو المجد الذي عز دركه

وجل مقاماً عن لحوق المطاول

عنيت ابن عبدالوهاب قدوة عصره

سلالة أنجاب زكي الخصائل

عليه من الرحمن أعظم رحمة

تبل ثراه بالضحى والأصائل

لقد أشرقت نجد بنور ضيائه

وقام مقامات الهدى بالدلائل

إمام له شأن كبير ورتبة

من الفضل تثني همة المتطاول

تأخر ميلاداً وفي حلبة العلى

وميدان فخر سابق للأوائل

ويأمر بالمعروف في كل حالة

وعن منكر ينهى وليس بقابل

ولم يأل جهداً في نصيحة مسلم

برأي وتدبير وحسن تعامل

ومن شأنه قمع الضلال ونصره

لمن كان مظلوماً وليس بخاذل

وكم كان في الدين الحنيفي مجاهداً

بماضي سنان دامغ للأباطل



فلولاه لم تحرز رحى الدين مركزاً

ولا اشتد للإسلام ركن المعاقل

ولا كان للتوحيد واضح لاحب

يقيم اعوجاج السير من كل عادل

فما هو إلا قائم في زمانه

مقام نبي في إماتة باطل

وقال الشيخ ملا عمران بن علي بن رضوان, نزيل لنجه من بلاد العجم رحمه الله تعالى, في رده على من عارض الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى:

الشيخ شاهد بعض أهل جهالة

يدعون أصحاب القبور الهمد

تاجاً وشمسان ومن ضاهاهما

من قبة أو تربة أو مشهد

يرجون منهم قربة وشفاعة

ويؤملون كذاك أخذاً باليد

ورأوا لعبّاد القبور تقرباً

بالنذر والذبح الشنيع المفسد

ما أنكر القراء والأشياخ ما

شهدوا من الفعل الذي لم يحمد

بل جوزوه وشاركوا في أكله



من كان يذبح للقبور ويفتدي

فأتاهم الشيخ المشار إليه بالنـ

ـصح المبين وبالكلام الجيد

يدعوهم لله أن لا تعبدوا

إلا المهيمن ذا الجلال السرمد

لا تشركوا ملكاً ولا من مرسل

كلا ولا من صالح أو سيد

فتنافروا عنه وقالوا ليس ذا

إلا عجيب عندنا لم يعهد

ما قاله آباؤنا أيضاً ولا

أجدادنا أهل الحجى والسؤدد

إنا وجدنا جملة الآبا على

هذا فنحن بما وجدنا نقتدي

فالشيخ لما أن رأى ذا الشأن من

أهل الزمان اشتد غير مقلد

ناداهم يا قوم كيف جعلتم

لله أنداداً بغير تعدد

قالوا له بل إن قلبك مظلم

لم تعتقد في صالح متعبد



قالوا له غشاش أمة أحمد

وهو النصيح بكل وجه يبتدي

هل قال إلا وحدوا رب السما

وذروا عبادة ما سوى المتفرد

وتمسكوا بالسنة البيضا ولا

تتنطعوا بزيادة وتردد

هذا الذي جعلوه غشاً وهو قد

نطقت به الرسل الكرام لمن هدي

من عهد آدم ثم نوح هكذا

تترى إلى عهد النبي محمد

وكذلك الخلفاء بعد نبيهم

والتابعون وكل حبر مهتد

منهاجهم هذا عليه تمسكوا

من كان مستناً بهم فليقتد

عجباً لمن يتلو الكتاب ويدعي

علم الحديث مسلسلا في المسند

ويقول للتوحيد غشاً: إن ذا

خطر على من قاله فليشهد



ويجدد الإسلام والإيمان معتقداً

بأن الشيخ خير مجدد

ما ذنبه في الناس إلا أنه

هد القباب وتلك سيرة أحمد

لما نفى الإطراء منهم والغلو

قالوا أتيت بذا الجفاء المبعد

لو كان حبك للنبي محققاً

لفعلت فعلتنا لعلك تهتدي

والله قد ذم الغلو فقال (يا

أهل الكتاب) بغلظة وتهددي

إذ قال (لا تغلوا) بنهي لازم

(في دينكم) فالحكم لم يتردد

وكذا الرسول نهى وأخبر أنه

فيه الهلاك لراهب متعبد

عجباً لهم لو كان فيهم منصف

لرأى المحب محمداً لمحمد

من حيث إن الاتباع مقارن

للحب في نص الكتاب الأمجد



قالوا صبأتم نحوه قلنا لهم

الحق شمس للبصير المهتدي

ما بيننا نسب نميل به ولا

حسب يقربنا له بتودد

أيضاً ولا هو جارنا الأدنى الذي

نمتار نعمته ولم نسترفد

لكنها شمس الظهيرة قد بدت

لذوي البصائر فاهتدى من يهتدي

فالعالمون العاملون المنصفون

له أقروا بالفضائل واليد

لكن قليل منهم في عصرنا

كالشعرة البيضا بجلد أسود

فان اعتراكم في الذي قد قاله

شك وريب واختلاف يبتدي

فزنوا بميزان الشريعة قوله

تجدوه حقاً ظاهراً للمقتدي

وقال الشيخ أحمد بن محمد الحفظي اليمني رحمه الله تعالى في أرجوزة له:

حركني لنظمها الخير الذي

قد جاءنا في آخر العصر القذي



لما دعا الداعي من المشارق

بأمر رب العالمين الخالق

وبعث الله لنا مجدداً

من أرض نجد عالماً مجتهداً

شيخ الهدى محمد المحمدي

الحنبلي الأثري الأحمدي

فقام والشرك الصريح قد سرى

بين الورى وقد طغى واعتكرا

لا يعرفون الدين والتهليلا

وطرق الإسلام والسبيلا

إلا أساميها وباقي الرسم

والأرض لا تخلو من أهل العلم

وكل حزب فلهم وليجه

يدعونه في الضيق للتفريجه

وملة الإسلام والاحكام

في غربة وأهلها أيتام

دعا إلى الله وبالتهليله

يصرخ بين أظهر القبيله

مستضعفاً وما له مناصر

ولا له معاون موازر

في ذلة وقلة وفي يده



مهفة تغنيه عن مهنده

كأنها ريح الصبا في الرعب

والحق يعلو بجنود الرب

ولم يزل يدعو إلى دين النبي

ليس إلى نفس دعا أو مذهب

يعلم الناس معاني أشهد

أن لا إله غير فرد يعبد

محمد نبيه وعبد

رسوله إليكم وقصده

أن تعبدوه وحده لا تشركوا

شيئاً به والابتداع فاتركوا

ومن دعا دون الإله أحدا

أشرك بالله ولو محمداً

إن قلتم نعبدهم للقربه

أو للشفاعات فتلك الكذبه

وربنا يقول في كتابه

هذا هو الشرك بلا تشابه

هذي معاني دعوة الشيخ لمن

عاصره واستكبروا عن السنن



وبعد ما استجيب لله فمن

جادل في الله تردى وافتتن

ومن أجاب داعي الله ملك

ومن تولى معرضاً فقد هلك

وثناء العلماء من سائر الأمصار على الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى, واعترافهم بعلمه وفضله ونصيحته لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم: كثير جداً.

بل قد اعترف أعداء الإسلام والمسلمين من كتاب النصارى ومؤرخيهم أن الشيخ محمداً وأتباعه أرادوا تجديد الإسلام وإعادته إلى ما كان عليه في الصدر الأول, كما ستأتي الإشارة إلى ذلك في كلام محمد رشيد رضا, وفيما نقله الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن سند عن الكاتب الأمريكي.

قال محمد رشيد رضا في مقدمة كتاب صيانة الإنسان عن وسوسة دحلان: لم يخل قرن من القرون التي كثرت فيها البدع من علماء ربانيين يجددون لهذه الأمة أمر دينها بالدعوة والتعليم وحسن القدوة, وعدول ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين كما ورد في الأحاديث.

ولقد كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب النجدي من هؤلاء العدول المجددين, قام يدعو إلى تجريد التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده بما شرعه في كتابه وعلى لسان رسوله خاتم النبيين ﷺ وترك البدع والمعاصي وإقامة شعائر الإسلام المتروكة, وتعظيم حرماته المنتهكة المنهوكة.

فنهدت لمناهضته واضطهاده القوى الثلاث قوة الدولة الحكام, وقوة أنصارها من علماء النفاق, وقوة العوام الطغام.

وتصدى للطعن في الشيخ محمد بن عبدالوهاب والرد عليه أفراد من أهل الأمصار المختلفة, منهم رجل من أحد بيوت العلم في بغداد, قد عهدناه يفتخر بأنه من دعاة التعطيل والإلحاد.

وكان أشهر هؤلاء الطاعنين مفتي مكة المكرمة الشيخ أحمد زيني دحلان المتوفي سنة 1304. ألف رسالة في ذلك تدور جميع مسائلها على قطبين اثنين: قطب الكذب والافتراء على الشيخ, وقطب الجهل بتخطئته فيما هو مصيب فيه.

وكنا نسمع في صغرنا أخبار الوهابية المستمدة من رسالة دحلان هذا ورسائل أمثاله فنصدقها بالتبع لمشايخنا وآبائنا ونصدق



أن الدولة العثمانية هي حامية الـدين ولأجله حـاربتهم وخضـدت شوكتهم.

وأنا لم أعلم بحقيقة هـذه الطائفة إلا بعد الهجـرة إلى مصر والاطلاع على تـاريخ الجـبرتي وتـاريخ «الاستقصا في أخبـار المغرب الأقصى» فعلمت منهما أنهم هم الذين كـانوا على هداية الإسلام دون مقاتليهم, وأكـده الاجتمـاع بـالمطلعين على التـاريخ من أهلها ولا سيما تـواريخ الإفـرنج الـذين بحثـوا عن حقيقة الأمر فعلموها وصرحوا أن هـؤلاء النـاس أرادوا تجديد الإسـلام وإعادته إلى ما كان عليه في الصدر الأول, وإذاً لتجدد مجده وعـادت إليه قوته وحضـارته. وإن الدولة العثمانية ما حـاربتهم إلا خوفا من تجديد ملك العرب وإعادة الخلافة الإسلامية سيرتها الأولى.

على أن العلامة الشيخ عبدالباسط الفاخوري مفتي بيروت كـان ألف كتابا في تاريخ الإسلام ذكر فيه الدعوة التي دعا إليها الشـيخ محمد بن عبـدالوهاب, وقـال إنها عين ما دعا إليه النـبيون والمرسلون, ولكنه قال إن الوهـابيين في عهـده متشـددون. وقد عجبنا له كيف تجرأ على مدحهم في عهد السلطان عبدالحميد؟

ورأيت شيخنا محمد عبده في مصر على رأيه في هداية سلفهم وتشـدد خلفهم وأنه لـولا ذلك لكـان إصـلاحهم عظيما ورجي أن يكـون عامـا, وقد ربى الملك عبـدالعزيز غلاتهم المتشـددين منذ سنتين تربية يرجى أن تكون تمهيداً لإصلاح عظيم.

وأن علمـاء السـنة في الهند واليمن قد بلغهم كل ما قيل في هـذا الرجل فبحثـوا وتثبتـوا كما أمر الله تعـالى فظهر لهم أن الطـاعنين فيه مفـترون لا أمانة لهم, وأثـنى عليه فحـولهم في عصـره وبعد عصـره وعـدوه من الأئمة المصـلحين المجـددين للإسلام ومن فقهـاء الحـديث كما نـراه في كتبهم, ولا تتسع هـذه المقدمة لنقل شيء من ذلك انتهى.

والتشدد الـذي أشـار إليه إنما وقع في بعض الأعـراب في زمن يسـير. فأما الحاضـرة وكثـير من البادية فكـانوا على الطريقة السـلفية ولم يكن فيهم تشـدد كما يزعمه بعض النـاس, فـإطلاق التشـدد على العمـوم متعقب على من ادعـاه, كما لا يخفى على من له أدنى معرفة بحال أهل نجد.

وقال محمد رشيد رضا في هامش صيانة الإنسان: من المعلـوم بالتواتر أن الشـيخ رحمه الله تعـالى جـدد الإسـلام في نجد وغـير نجد.

وقـال أيضـاً في مقدمة رسـائل العلامة الشيخ عبـداللطيف بن الشـيخ عبـدالرحمن بن حسن بن شـيخ الإسـلام محمد بن عبدالوهاب رحمهم الله تعالى: لا نعرف في تاريخ الإسـلام شـعباً



دخل في جميع الأطوار التي دخل فيها الإسلام في نشأته الأولى: غربة وجهاداً وهجرة وحجاجاً وقوة, غير هذا الشعب النجدي.

فقد ظهر الشيخ محمد بن عبدالوهاب في وقت كان حال أهله شراً من حال المشركين وأهل الكتاب في زمن البعثة, من شرك وخرافات وبدع وضلالات وجهالة غالبة, فدعا إلى عبادة الله وحده والرجوع إلى أصل الإسلام الذي كان عليه النبي وأصحابه رضي الله عنهم, فعاداه في بلاده الأكثرون ووالاه فيها الأقلون, فنصر الله تعالى أولياءه من أمراء آل سعود وأتباعهم على أعدائهم.

ثم تصدى لعداوتهم الترك وأعوانهم فكانت الحرب سجالا بينهم, وعاقب الله السعوديين زمناً ما بما كان من تخاذل بينهم وتقصير في إقامة بعض سنن الله في دولتهم, ثم كانت العاقبة الحسنى لهم عندما تابوا من ذنبهم ورجعوا إلى وحدتهم واعتبروا بقول الله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) وقوله في أصحاب رسول الله عندما ظهر عليهم المشركون في غزوة أحد (أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم) وقوله تعالى (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم).

امتحن الله النجديين بتصدي الترك لعدواتهم وتأليب العرب وشرفاء الحجاز والمصريين عليهم لئلا يعيدوا ملك العرب وسلطانهم الذي سلبوه منهم, فحاربوهم باسم الإسلام, ونشروا الكتب والفتاوى في رميهم بالكفر والابتداع, وقد اغتر كثيرون بما فعلوه باسم الإسلام, وشايعهم عليه أفراد وجماعات هم دون الخوارج الذين خرجوا على الإمام أمير المؤمنين الخليفة الرابع للرسول وكفروه وتبرؤوا منه, ودون الذين بغوا عليه وحاربوه مع معاوية, نعم هم دونهم علماً بالدين وعملا به. بل كفرهم وقاتلهم أخلاط منهم المسلم والكافر والزنديق والمنافق, وعسكر لا يقيم الصلاة ولا يؤدي الزكاة ولا يحرم ما حرم الله ورسوله, من الخمر والزنا واللواط وأكل أموال الناس بالباطل والقتال لطاعة الرؤساء ولو في معصية الله تعالى.

بهذا كان علماؤهم وأمراؤهم في حال تشبه حال مسلمي الصدر الأول: في مقاومة المشركين الذين يدعون غير الله ويجعلون لله أنداداً كالذين جاهدهم النبي , وفي مقارعة تاركي الصلاة ومانعي الزكاة كالذين قاتلهم أبو بكر الخليفة الأول رضي الله عنه, وفي مجالدة البغاة كالذين قاتلهم الخليفة الرابع علي رضي الله عنه, وفي مجادلة المبتدعين من الروافض والجهمية كالذين ناضلهم الإمام أحمد وإخوانه أئمة السنة بالحجة.



فأعادوا نشأة الإسلام العملية سيرتها الأولى في الصدر الأول من ولاية وبراءة وهجرة وجهاد بالسيف والسنان, وبالحجة والبرهان. على حين صارت النصوص الخاصة بهذه الأحوال منسية أو كالمنسية عند غيرهم من شعوب الإسلام ودوله, لا يتعلق بها عمل من الأعمال ولا حكم من الأحكام.

وقد عده أحمد أمين في كتابه يوم الإسلام من المجددين للدين وقال: كان من بني تيم ظهر في أواخر القرن الثامن عشر – أي الميلادي – وكان أهم مبادئ إصلاحه الرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية, ودافع عن مبدأ الأخذ بالحديث والاعتماد عليه اعتمادا كليا عكس ما فعله الفقهاء السابقون من أخذهم بالرأي, واقتنع بمذهب أحمد بن حنبل في اعتماده على الحديث, ودرس مؤلفات ابن تيمية, وأعاد الرجم للزاني والزانية واكتسبت تعاليمه أنصارا كثيرين وأبطل الأضرحة وهدمها, وحرم لبس الحرير, وأي زينة وزخرف في المساجد, كما تشدد في تحريم المسكرات وتحريم التدخين, إلى أن قال إصلاحات محمد بن عبدالوهاب هي إصلاحات دينية لا دنيوية انتهى.

وقال محمد رشيد أيضا في مقدمة مجموعة الحديث النجدية:

وقد كان مما استعمل الله به الشيخ محمد بن عبدالوهاب مجدد الدين في نجد وما حولها أن أحيا مدارسة السنة النبوية فيها للاهتداء بها لا لمجرد التبرك بألفاظها, ولا لأجل الاستقلال فيها دون ما كتب المحدثون والفقهاء في شرحها والاستنباط منها بل نرى من هداهم الله تعالى بدعوته وأنقذهم من الجاهلية التي عادت إلى أكثر أهل جزيرة العرب ما زالوا يحيون كتب فقه شيخ السنة الأكبر الإمام أحمد رضي الله عنه, مع خيار كتب التفسير والحديث لغير الحنابلة من علماء السنة فكانوا من أجدر المسلمين بلقب أهل السنة.

... وقال الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن سند, في رده على الراوي العراقي: لقد نهض الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى نهضة أكرم بها من نهضة, وقد بلغ من أمر تلك النهضة أن عرفها الباحثون في علل رقي الأمم وانحطاطها حتى من غير علماء الإسلام.

وإليك نظرية أحد علماء الغرب في تلك النهضة الإصلاحية التي نهض بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

قال لو ثروب ستودارد الأمريكي في كتابه حاضر العالم الإسلامي المترجم إلى اللغة العربية بقلم الأستاذ عجاج نويهض– الفصل الأول من الكتاب, في اليقظة الإسلامية –:



... في القرن الثامن عشر - أي الميلادي - كان العالم الإسلامي قد بلغ من التضعضع أعظم مبلغ ومن التدلي والانحطاط أعمق دركة, فاربدجوه وطبقت الظلمة كل صقع من اصقاعه, ورجاً من أرجائه, وانتشر فيه فساد الأخلاق والآداب وتلاشى ما كان باقيا من آثار التهذيب العربي, واستغرقت الأمم الإسلامية في اتباع الأهواء والشهوات, وماتت الفضيلة في الناس, وساد الجهل وانطفأت قبسات العلم الضئيلة.

وانقلبت الحكومات الإسلامية إلى مطايا استبداد وفوضى واغتيال فليس يرى في العالم الإسلامي في ذلك العهد سوى المستبدين الغاشمين كسلطان تركيا وآخر ملوك المغول في الهند يحكمون حكما واهناً فاشي القوة متلاشي الصبغة, وقام كثير من الولاة والأمراء يخرجون على الدولة التي هم في حكمها وينشؤون حكومات مستقلة ولكن مستبدة كحكومة الدولة التي خرجوا عليها, فكان هؤلاء الخوارج لا يستطيعون إخضاع من في حكمهم من الزعماء هنا وهناك, فكثر السلب والنهب, وفقد الأمن, وصارت السماء تمطر ظلماً وجوراً.

وجاء فوق جميع ذلك رجال الدين المستبدون يزيدون الرعايا إرهاقا فوق ارهاق, فغلت الأيدي, وقعد عن طلب الرزق, وكاد العزم يتلاشى في نفوس المسلمين, وبارت التجارة بوراً شديداً, وأهملت الزراعة أي إهمال.

وأما الدين فقد غشيته غاشية سوداء, فألبست الوحدانية التي علمها صاحب الرسالة الناس سجفا من الخرافات وقشور الصوفية, وخلت المساجد من أرباب الصلوات, وكثر عدد الأدعياء الجهلاء وطوائف الفقراء والمساكين, يخرجون من مكان إلى مكان يحملون في أعناقهم التمائم والتعاويذ والسحات, ويوهمون الناس بالباطل والشبهات, ويرغبونهم في الحج إلى قبور الأولياء, ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور.

وغابت عن الناس فضائل القرآن فصار يشرب الخمر والأفيون في كل مكان, وانتشرت الرذائل, وهتكت ستر الحرمات على غير خشية واستحياء. ونال مكة المكرمة والمدينة المنورة ما نال غيرهما من سائر مدن الإسلام, فصار الحج المقدس الذي فرضه الله تعالى وفرضه النبي على من استطاعه ضربا من المستهزآت.

وعلى الجملة فقد بدل المسلمون غير المسلمين, وهبطوا مهبطا بعيد القرار فلو عاد صاحب الرسالة إلى الأرض في ذلك العصر ورأى ما كان يدهى الإسلام لغضب وأطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين كما يلعن المرتدون وعبدة الأوثان.



وفيما العالم الإسلامي مستغرق في هجعته ومدلج في ظلمتــه, إذا بصوت قد دوى من قلب صحراء شـبه الجزيـرة مهد الإسـلام, يوقظ المؤمــنين ويــدعوهم إلى الإصــلاح والرجــوع إلى ســواء السبيل والصراط المستقيم. فكان الصـارخ هـذا الصـوت إنما هو المصلح المشهور محمد بن عبدالوهاب الـذي أشـعل نـار الوهابية فاشتعلت واتقدت واندلعت ألسنتها إلى كل زاوية من زوايا العالم الإســلامي, ثم أخذ هــذا الــداعي يحض المســلمين على إصــلاح النفوس واستعادة المجد الإسـلامي القـديم والعز التليـد, فتبـدت تباشير صبح الإسلام ثم بدت اليقظة الكبرى في عالم الإسلام.

ولد محمد بن عبــدالوهاب في نجد الواقعة في قلب الصــحراء العربية حوالي سـنة ألف وسـبعمائة ميلادي؛ وكـانت نجد في ذلك العصر على انحطاط العالم الإسلامي وتدليه أنقى البلدان إسـلاما وأطهر الأقطــار دينــا. وإذ كــان منذ أول شــأنه شــديد الميل إلى الاطلاع والتفقه في الدين, لسرعان ما اشـتهر ذكـره وذاع اسـمه فعــرف بعلم وافــر, قوامــاً على التقــوى فحج إلى مكة في أوائل عمــره وطلب العلم في المدينة المنــورة, وســاح إلى كثــير من البلاد المجاورة حتى فارس, ثم عاد إلى نجد مشـتعلا غضـباً دينيـاً لما رآه بــأم عينه من ســوء حالة الإســلام فصـحت عزيمته على القيام بدعوة الإصلاح.

فقضى سـنين عديـدة راحلا من بلاد إلى بلاد في شـبه الجزيـرة فبشر بالدعوة موقظا النفوس, حتى استطاع بعد جهـاد طويل أن يجعل محمد بن السعود وهو أكبر أمراء نجد وأعلى زعمائهم كعبا وشأنا يقبل الـدعوة ويـدخل فيها فاكتسب ابن عبـدالوهاب بـذلك مكانة أدبية عالية ومنـزلة اجتماعية رفيعة وقوة حربية لا يسـتهان بها فاســتفاد من ذلك اســتفادة جليلة قد مكنته من بلــوغ غايته وإدراك غرضه.

فتكونت على التـوالي وحـدة دينية سياسـية في جميع الصـحراء العربية شبيهة بتلك الوحدة التي أنشأها صـاحب الرسـالة ﷺ وفي الواقع فإن المنهج الذي نهجه ابن عبـدالوهاب يشـبه شـبها كبـيراً ذاك الذي نهجه الخلفاء الراشدون كأبي بكر وعمر.

ولما مات سـنة ألف وسـبعمائة وسـبعة وثمـانين – أي ميلادية – خلفه ابن السـعود فكـان خـير خليفة للمصـلح الإسـلامي الكبـير, واقتفى الوهابيون آثار خلافة الراشدين، وعلى ما كــان في يد ابن السعود من القوى الحربية العظيمة فإن ذلك ما كان ليصرفه عن أن يكــون على الــدوام نــازلا على رأي الجماعة وشــوراها, فلم يمتهن حرية اتباعه وبني قومه.



وكانت حكومته على عنفها مكينة عادلة فـانقطع التعـدي, وأمن النـــاس الســـرقات, وانتشر الأمن وســـادت الطمأنينة والراحة وعكف على العلم والتهـذيب, فكـان في كل واحة مدرسـة, وفي كل قبيلة بدوية عدد من المعلمين.

وبعد أن أخضع ابن الســعود نجــداً وتم له الأمر في كاملها أخذ يستعد ليقوم بعمل أكـبر, ألا وهو إخضـاع جميع العـالم الإسـلامي ونشر الإصـــلاح فيه فجعل نصب عينيه في المقـــام الأول تحرير الأمـاكن المقدسة الحجازيـة, فكر على الحجـاز في صـدر القـرن التاسع عشر – أي الميلادي – بمقاتلته الشجعان المشتعلين غيرة دينية, وكان له ما أراد من الاستيلاء على الأمـاكن المقدسـة, فلم تستطع قوة الوقوف في وجه الوهابيين وهم يحملون على الترك, والـترك في نظـرهم أهل الارتـداد والجحـود, ومغتصـبو الخلافة اغتصابا وحقها أن تكون أبداً في العرب.

وبينما كـان ابن السـعود سـنة ألف وثمانمائة وأربعة عشر – أي ميلادية – يعد العــدة لفتح ســوريا وهمته متينــة, كــان يخيل إلى العالم منه أن الوهابين متدفقون على الشرق تدفقا وصـانعون ما شاء الله من الإصلاح في الإسلام, غير أن ذلك ما قدر ليكون.

فلما أيقن سلطان تركيا أنه لا يسـتطيع القضـاء على الوهـابيين استصـرخ بطلا من مشـاهير الأبطـال وهو محمد علي واسـتكفاه أمر القضاء عليهم, وكان هذا المقدام الألباني سـيد مصر وأميرها واقفا حق الوقوف على قـدرة أوربا وشـدة بأسـها وتفوقها فـدعا إليه ضباطا من أهل الغرب فنظمـوا له جيشا قويا ودربـوه تـدريباً على الطراز الغـربي, وجهـزوه بمعـدات الأسـلحة الغربيـة, وكـان غالب هذا الجيش مؤلفا من المقاتلة الألبانيين الأشداء.

فسرعان ما أجـاب محمد علي نـداء السـلطان فـأيقن حينئذ أن الوهابيين على شدة غيرتهم الدينية وحماستهم لن يسـتطيعوا بعد الوقـــوف بوجه البنـــادق والمـــدافع الأوربية يطلق عيارها جنـــود مجربون, وما هي إلا مدة قصيرة حتى استردت الأماكن المقدسة الحجازية ورد الوهـابيون على أعقـابهم فـانقلبوا إلى الصـحراء, فـاختفت الإمبراطورية الوهابية الوليـدة للحـال اختفـاء أو أرخي الستار على الدور السياسي الوهابي.

بيد أن خاتمة هذا الدور السياسي كانت فاتحة الدور الديني فقد ظلت نجد بـؤرة تشـتعل فيها نـار الغـيرة الدينيـة, ومنبثق النـور تنبعث منه الأشعة الوهاجة إلى كل ناحية من نواحي الأرض.

وما فتئ الوهابيون منذ قضي على قوتهم السياسية يبثـون روح الحركة الدينية في مئـات الألـوف من الحجيج الوافـدين كل عـام إلى مكة والمدينة من كل قطر من أقطـــار العـــالم الإســـلامي,



فيقتبس هؤلآء ناراً وهابية ثم يعـودون إلى أوطـانهم يشـعلون بها ما استطاعوا إشعاله في سبيل الإصلاح.

وهكـذا قد اسـتطاع الوهـابيون أن يبـذروا بـذورا تلاها الاختمـار الشـديد للثـورة الدينية في كل فج إسـلامي, حـتى بلغت دعـوتهم الدينية أقصى المعمـور, فقـام في شـمال الهند الـزعيم الوهـابي المغـالي السـيد أحمد مسـتنفراً مسـلمي بنجـاب, وأنشأ دولة وهابيـة, فكـان هـذا الـزعيم يعد عدته لفتح سـائر شـمالي الهند فحـالت منيته بينه وبين ذلـك, واضـمحلت الدولة الوهابية الهندية سـنة ألف وثمانمائة وثلاثين – أي ميلادية – غـير أنه لما جـاء الإنكلـيز يفتحـون البلاد عـانوا الأمـرين من بقايا النـار الوهابية الكامنة في الرمـاد, وظلت هـذه النـار مخبـوءة إلى ما شـاء الله فكانت عاملا من عوامل الثورة الهنديـة, ثم اسـتطار من شـررها ما تناول أفغانستان وسـائر القبائل الهندية عند الحـدود الشـمالية الغربية فاشعلها أيما إشعال– إلى أن قال –:

فالـدعوة الوهابية إنما هي دعـوة إصـلاحية خالصة بحتة غرضـها إصلاح الخرق ونسخ الشـبهات وإبطـال الأوهـام, ونقض التفاسـير المختلفة والتعـاليق المتضـاربة الـتي وضـعها أربابها في عصر الإسلام الوسطى, ودحض البدع وعبادة الأولياء.

وعلى الجملة هي الرجـوع إلى الإسـلام والأخذ به على أوله وأصله, ولبابه وجوهره, أي أنها الاستمساك بالوحدانية التي أوحى الله بها إلى صاحب الرسالة صـافية سـاذجة, والاهتـداء والائتمـام بالقرآن المنـزل مجردا.

وأما ما سوى ذلك فباطل وليس في شيء من الإسلام.

ويقتضي ذلك الاعتصـام كل الاعتصـام بأركـان الـدين وفروضه وقواعد الآداب كالصلاة والصوم وغير ذلك, والكون على السذاجة التامة في أحـوال المعيشـة, وتحـريم اتخـاذ الملابس الحريرية والتـأنق في الأطعمة وشـرب الخمر والتبغ – أي الـدخان – وغـير ذلـك, مما بعضه من أسـباب السـرف, وبعضه الآخر من المضـار المفسدة لسلامة العقل.

انتهى ما يقتضي إيـراده هنا مما كتبه ذلك الأجنـبي عن الإسـلام من الشهادة الصحيحة, والاعـتراف بفضل نهضة الإصـلاح الوهابية التي لم تحصر في قطر من أقطار الإسلام ولا شعب من شعوبه, بل عم أصل نفعها وهدايتها سائر الأقطار والشعوب الإسلامية.

فما أشـبه ذلك بـأمر هرقل قيصر الـروم وأبي سـفيان القرشي حين اطلع قيصر على كتاب النـبي ﷺ الـذي دعـاه به إلى الإسـلام وجـرت قصة محادثة قيصر مع أبي سـفيان وقـول قيصر لأبي سـفيان إن صـدقت فسـيملك محمد ما تحت قـدمي, فيخـرج أبو



سفيان وهو يقـول لقد أمِر أمر ابن أبي كبشـة, فقد أصـبح يخافه ملك بني الأصفر.

فما أشـبه الليلة بالبارحة فقد اعـترف بفضل الوهابية وإصـلاح نهضـتها أعـداء الإسـلام من العلمـاء, كما اعـترف قيصر بصـحة الرسـالة. وأنكر فضل الوهابية أدعيـاء العلم من المسـلمين الجغرافـيين كما جحد فضل الرسـالة الأقربـون من العـرب. والفضل ما شهدت به الأعداء انتهى باختصار من كتـاب الـبراهين الإسلامية. على إبطال المزاعم الراوية.

وقـال كـارل بروكلمـان الألمـاني في كتابه تـاريخ الشـعوب الإسـلامية ما ملخصـه: ولد في نجد المرتفعة في قلب الجزيـرة محمد بن عبدالوهاب من قبيلة تميم ما بين أواخر القـرن السـابع عشر وأوائل القـرن الثـامن عشر – أي الميلادي – فنشأ محبـاً للعلم واقفا نفسه على دراسة الفقه والشـريعة, وقصد إلى عواصم الشـرق الإسـلامي طلبا للعلم في مدارسـها, ودرس فقه أحمد بن حنبل الذي دافع في شدة وثبات عن مبدأ الأخذ بالحديث والاعتماد عليه اعتمادا كليا ضد نـزعة الفقهاء السابقين إلى الأخذ بالرأي, ثم إنه درس مؤلفات ابن تيمية الذي كـان قد أحيا تعـاليم ابن حنبل.

والواقع أن دراسـته لآراء هـذين الإمـامين انتهت به إلى الإيقـان عن أن الإسلام في شكله السائد في عصـره مشـرب بالمسـاوئ فلما آب إلى بلـده الأول سـعى أول ما سـعى إلى أن يعيد إلى العقيدة والحيـاة الإسـلاميتين صـفاءهما الأصـلي – إلى أن قـال – حتى إذا انفضت فترة قصـيرة اكتسـبت تعاليمه أنصـارا ومريـدين وذكر أنه أقام حد الرجم ونهى عن لبس الحرير وحرم أيما تـزيين أو زخرفة للمسـاجد والأضـرحة, بل لقد توسع في فهم التحـريم الإسلامي لمختلف ضروب المسكر فحرم تدخين التبغ الذي أعلن جميع الفقهاء من الحنابلة وغير الحنابلة معارضـتهم له أول دخوله إلى بلاد الشرق, قـال والواقع أن هـذا المصـلح لم يكن يتمتع من خصب الأفكار أو الابتكار بـأكثر مما كـان يتمتع به الرسـول نفسه انتهى.

المقصود من كلامه.

... وقال فيكتور فيندي الصحفي السويدي في مقال له منشـور في جريدة البلاد عدد 1904 وتاريخ 13 المحرم سنة 1385هـ ما نصه:

ورب سـائل يسـأل هل للمملكة دسـتور؟ فـأقول له نعم فـإن دسـتورها هو القـرآن, ويرجع الفضل في ذلك إلى الشـيخ الإمـام محمد بن عبدالوهاب المصلح الديني الأكبر الذي قـام في القـرن



الثامن عشر الميلادي بحملة شعواء على المسلمين المتهاونين في دينهم والذي بينه وبين آل سعود منذ ذلك التاريخ أوثق الوشائج ويبدو التمسك بأهداب الدين وبتعاليمه واضحا في كل مكان وفي مواسم مثل شهر الصيام في رمضان. أو في موسم الحج عندما يفد الحجيج إلى مكة من كل بقاع المعمورة انتهى المقصود من كلامه...هنا إضافة بخط اليد لم تفهم...

وفيما ذكرته من ثناء علماء المسلمين وعلماء أهل الكتاب على الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى كفاية في رد ما قاله المصنف وأمثاله فيه من الزور والبهتان. ويعلم من ذلك ما عليه علماء أهل الكتاب الذين ذكرنا أقوالهم من تحري الصدق وأداء الأمانة فيما كتبوه عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى بخلاف المصنف وأمثاله من أهل الزيغ والإلحاد فإنهم قد كذبوا فيما قالوه في حق الشيخ وأصحابه ولم يؤدوا الأمانة في ذلك, فبعداً لمن كان الكفار أصدق منهم مقالا وأوثق في أداء الأمانة.

فصل

وفي صفحة (78):

ذكر المصنف في جملة ما أنكره على الملاحدة العصريين أنهم دقوا الأبواب بالليل على عدة بيوت كان أهلها مجتمعين لذكر الله تعالى وبعضهم للصلاة على النبي بدلائل الخيرات فأسكتوهم.

والجواب أن يقال إن كان الاجتماع لذكر الله تعالى على نحو ما يذكر عن الصوفية من اجتماع الجماعة ورفعهم أصواتهم جميعا بالتهليل, فهذا من البدع التي ينبغي النهي عنها.

وقد أنكر ابن مسعود وأبو موسى الأشعري رضي الله عنهما على الذين اجتمعوا للذكر على صفة لم يفعلها أصحاب رسول الله وعد ابن مسعود رضي الله عنه فعلهم ذلك من البدع.

فروى الطبراني في الكبير عن عمرو بن سلمة قال كنا قعودا على باب ابن مسعود رضي الله عنه بين المغرب والعشاء, فأتى أبو موسى رضي الله عنه فقال اخرج إلينا أبا عبدالرحمن, فخرج ابن مسعود رضي الله عنه فقال: أبا موسى ما جاء بك هذه الساعة؟

قال لا والله إلا أني رأيت أمراً ذعرني وإنه لخير, ولقد ذعرني وإنه لخير, قوم جلوس في المسجد ورجل يقول سبحوا كذا وكذا, احمدوا كذا وكذا. قال فانطلق عبدالله وانطلقنا معهم حتى أتاهم فقال: ما أسرع ما ضللتم وأصحاب رسول الله أحياء, وأزواجه شواب, وثيابه وأبنيته لم تغير, أحصوا سيئاتكم فأنا أضمن على الله أن يحصي حسناتكم.



وروى الدارمي عن عمرو بن يحيى قال سمعت أبي يحـدث عن أبيه قال: كنا نجلس على باب عبدالله بن مسـعود رضي الله عنه قبل صلاة الغداة, فإذا خرج مشـينا معه إلى المسـجد, فجاءنا أبو موسى الأشـــعري رضي الله عنه فقـــال: أخـــرج إليكم أبو عبدالرحمن بعد؟ قلنا لا فجلس معنا حـتى خـرج, فلما خـرج قمنا إليه جميعـاً فقـال له أبو موسى يا أبا عبـدالرحمن إني رأيت في المسـجد آنفـاً أمـراً أنكرته ولم أر والحمدلله إلا خـيراً, قـال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه, قال رأيت في المسجد قوماً حلقا جلوساً ينتظـرون الصـلاة, في كل حلقة رجل وفي أيـديهم حصى فيقول كبروا مائة فيكبرون مائة, فيقول: هللوا مائة فيهللوا مائـة, ويقول سبحوا مائة فيسبحون مائة, قال فمـاذا قلت لهم قـال: ما قلت لهم شيئاً انتظار رأيك وانتظـار أمـرك قـال: أفلا أمـرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضـمنت لهم أن لا يضـيع من حسـناتهم شـيء. ثم مضى ومضينا حتى أتى حلقة من تلك الحلق فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا يا أبا عبدالرحمن حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح, قال: فعدوا سـيئاتكم فأنا ضـامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء, ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم, هـؤلاء صـحابة نـبيكم متـوافرون, وهـذه ثيابه لم تبل وآنيته لم تكســر, والــذي نفسي بيــده إنكم لعلى ملة هي أهــدى من ملة محمد أو مفتتحو باب ضلالة؟ قـالوا: والله يا أبا عبـدالرحمن ما أردنا إلا الخير, قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه.

وروى عبدالله بن الإمـام أحمد في زوائد الزهد والطـبراني وأبو نعيم في الحلية وأبو الفـــرج ابن الجـــوزي واللفظ له عن أبي البخـتري قـال: أخـبر رجل عبدالله بن مسـعود رضي الله عنه أن قوماً يجلسون في المسجد بعد المغرب, فيهم رجل يقـول كـبروا الله كذا وكذا وسبحوا الله كذا وكذا واحمدوا الله كـذا وكـذا, قـال عبدالله فإذا رأيتهم فعلوا ذلك فأتني فأخبرني بمجلسـهم, فأتـاهم فجلس فلما سـمع ما يقولـون قـام فـأتى ابن مسـعود رضي الله عنه فجاء, وكان رجلا حديداً فقال: أنا عبدالله بن مسـعود والـذي لا إله غيره لقد جئتم ببدعة ظلماء, أو لقد فضـلتم أصـحاب محمد علمــا, عليكم بـالطريق فــالزموه ولئن أخــذتم يمينــاً وشــمالا لتضلن ضلالا بعيداً. وفي رواية الطبراني فأمرهم أن يتفرقوا.

وروى محمد بن وضـــاح أن عبدالله بن مســعود رضي الله عنه حدث أن ناساً يسـبحون بالحصى في المسـجد فأتـاهم وقد كـوم كل رجل منهم كومة من حصى فلم يزل يحصـبهم بالحصى حـتى أخرجهم من المسجد وهو يقـول لقد أحـدثتم بدعة ظلمـاء أو لقد فضلتم أصحاب محمد علما.



وقد أمر الله تعالى بإخفـاء الـذكر ونهى عن رفع الصـوت بـذلك فقـال تعـالى (واذكر ربك في نفسك تضـرعاً وخفية ودون الجهر من القول) وثبت عن النبي أنه أنكر رفع الصـوت بالـذكر ونهى عن ذلك, كما في الصـحيحين وغيرهما عن أبي موسى الأشـعري رضي الله عنه قال: لما غزا رسول الله خيبر أو قال: لما توجه رسول الله أشرفوا على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله, فقال رسول الله «اربعوا على أنفسـكم إنكم لا تـدعون أصم ولا غائبـاً إنكم تـدعون سـميعاً قريبـاً وهو معكم».

وإذا علم هذا فالإنكار على الذين كانوا يرفعون أصواتهم بالـذكر هو الصـواب, بـدليل ما ذكرنا من الآية وحـديث أبي موسى رضي الله عنه.

وأيضا فإن رفع الصوت بالذكر حتى تسمع أصوات الذاكرين في الأسواق وهم من داخل الـبيوت فيه مـراءاة للنـاس, أو هو مظنة للمراءاة ومشابهة للمرائين. والريـاء حـرام لأنه من الشـرك بالله تعالى وقد قال الله تعالى (فمن كان يرجو لقـاء ربه فليعمل عملا صـالحا ولا يشـرك بعبـادة ربه أحـدا). وما كـان مظنة للريـاء ومشابهة المـرائين فأقل أحواله الكراهـة؛ قاله شـيخ الإسـلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى.

وقد روى الإمـام أحمد وأبو يعلى وابن حبـان في صـحيحه والبيهقي في شـعب الإيمـان عن سـعد بن أبي وقـاص رضي الله عنه قال قال رسول الله «خير الـذكر الخفي, وخـير الـرزق ما يكفي. وأيضا فإن الذكر الذي تجتمع له الصوفية لم يكن من فعل النبي ولا من فعل أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين.

وقد روى الإمـام أحمد والشـيخان وأبو داود وابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسـول الله «من أحـدث في أمرنا هـذا ما ليس منه فهو رد». وفي رواية لأحمد ومسـلم وللبخـاري تعليقا مجزوما به «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد».

وروى الإمام أحمد أيضـاً وأهل السـنن وابن حبـان في صـحيحه والحاكم في مستدركه عن العرباض بن سارية رضي الله عنه أن رسـول الله قـال:«عليكم بسـنتي وسـنة الخلفـاء الراشـدين المهـديين تمسـكوا بها وعضـوا عليها بالنواجـذ, وإيـاكم ومحـدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» قال الترمذي هـذا حديث حسن صحيح, وصححه الحاكم ووافقه الذهبي في تلخيصه.

وقال حذيفة رضي الله عنه كل عبادة لا يتعبدها أصحاب رسـول الله فلا تعبدوها, فـإن الأول لم يـدع للآخر مقـالا, فـاتقوا الله يا



معشر القراء وخذوا ممن كان قبلكم. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم, كل بدعة ضلالة. رواه الدارمي وابن وضاح. وفي رواية لابن وضاح عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: اتبعوا آثارنا ولا تبتدعوا فقد كفيتم.

وروى ابن وضاح أيضاً عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: اتبعوا سبلنا ولئن اتبعتمونا لقد سبقتم سبقاً بعيداً ولئن خالفتمونا لقد ضللتم ضلالا بعيداً.

ولقد ذكر عن بعض الصوفية أنهم كانوا يبتدئون الذكر بقول لا إله إلا الله, ثم يقتصرون على الاسم المفرد فيقولون الله الله, ثم يعدلون عن ذلك إلى المضمر فيقولون هو. هو ويزعمون أن الإتيان بلا إله إلا الله تامة هو ذكر العامة, وأن الاقتصار على الاسم المفرد هو ذكر الخاصة. وأن الاقتصار على الاسم المضمر هو ذكر خاصة الخاصة. وهذا من تلاعب الشيطان بهم, وفاعل هذا ينبغي زجره عنه, وإن أصر على المخالفة فينبغي أن يؤدب بما يردعه عن هذه البدعة, فإن الاقتصار على الاسم المفرد أو على المضمر ليس بذكر مشروع, وإنما هو من بدع الصوفية.

قال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى: ومن هؤلاء من يرجح الاسم المفرد كقوله الله الله الله على كلمة الإخلاص التامة وهي قول لا إله إلا الله, ومنهم من يرجح ذكر المضمر وهو قول هو. هو أو يا هو على الاسم المظهر, وهذا كله من الغلط الذي سببه فساد كثير من السالكين حتى آل الأمر ببعضهم إلى الحلول والاتحاد. وكل ذكر علمه الرسول لأمته أو قاله إنما هو بالكلام التام لا بالاسم المفرد ولا بالمضمر انتهى.

والصلاة على النبي بدلائل الخيرات بدعة أحدثها أهل الغلو والإطراء الذي نهى عنه رسول الله بقوله «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله» متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وقد قال الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني رحمه الله في قصيدته التي مدح بها شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى.

وحرق عمداً للدلائل دفتراً

أصاب ففيها ما يجل عن العد

غلو نهى عنه الرسول وفرية



أحاديث لا تعزى إلى عالم فلا **بلا مرية فاتركه إن كنت تستهدي**

وصيرها الجهال للذكر ضرة **تساوي فلساً إن رجعت إلى النقد**

لقد سرني ما جاءني من طريقه **ترى درسها أزكى لديهم من الحمد**

وكنت أرى هذي الطريقة لي وحدي

ثم إن رفع الصوت بالصلاة على النبي بدعة أخرى.

قال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى اتفق المسلمون على أن الصلاة على النبي والدعاء كله سراً أفضل, بل الجهر ورفع الصوت بالصلاة بدعة انتهى.

وروى محمد بن وضاح عن يونس بن عبيد قال كانوا يجتمعون فأتاهم الحسن فقال له رجل يا أبا سعيد ما ترى في مجلسنا هذا, قوم من أهل السنة والجماعة لا يطعنون على أحد نجتمع في بيت هذا يوما وفي بيت هذا يوماً, فنقرأ كتاب الله وندعو ربنا ونصلي على النبي , وندعو لأنفسنا ولعامة المسلمين قال فنهى عن ذلك الحسن أشد النهي.

وإذا علم هذا فالصواب المنع من الصلاة على النبي بدلائل الخيرات ومن رفْع الصوت بالصلاة عليه , لأن ذلك بدعة والبدع لا يجوز إقرارها.

فصل

وفي صفحة (98)

أورد المصنف هؤلاء الآيات. (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا. الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا. أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا. ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا



آياتي ورسلي هزوا). ثم جزم أنها مما نـزل في ملاحدة العصريين دون غيرهم, قال وإن ظن كثير من أهل التفسـير أنها نـــزلت في الحرورية.

والجـواب أن يقـال إن الآية عامة لليهـود والنصـارى والحرورية وغــيرهم ممن كـان يعبد الله تعـالى على غــير طريقة مرضــية, ويدخل في عمومها ملاحـدة العصـريين وغـيرهم ممن يحسب أنه مصيب في عمله وهو مخطئ فيه.

وقد روى البخـاري في صـحيحه عن سـعد بن أبي وقـاص رضي الله عنه أنه قال هم اليهود والنصارى. وروي مثله عن ابن عبـاس رضي الله عنهمـــا. وقـــال علي بن أبي طـــالب رضي الله عنه والضحاك وغير واحد هم الحرورية.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: ومعنى هـذا عن علي رضي الله عنه أن هــذه الآية الكريمة تشــمل الحرورية كما تشــمل اليهــود والنصـارى وغـيرهم, لا أنها نــزلت في هـؤلاء على الخصـوص ولا هؤلاء بل هي أعم من هذا فإن هذه الآية مكية قبل خطاب اليهـود والنصارى وقبل وجود الخوارج بالكلية وإنما هي عامة في كل من عبد الله على غــير طريقة مرضــية يحسب أنه مصــيب فيها وأن عمله مقبـول وهو مخطئ وعمله مـردود كما قـال تعـالى (وجـوه يومئذ خاشــعة عاملة ناصــبة تصـلى نــاراً حاميــة) وقــال تعـالى (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) وقال تعـالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءاً حــتى إذا جاءه لم يجده شيئا).

فصل

وفي صفحة (101)

ذكر المصنف المارقين من العصريين وقال ما نصه: حـتى صـار المؤمن يمشي فيهم مختفياً لا سيما إذا كـان ذاكـراً لله تعـالى أو حاملا لسبحة في عنقه.

والجــواب أن يقــال ليس حمل الســبحة في العنق من أفعــال المؤمنين وإنما هو من أفعال الصوفية المبتدعين.

ولا يجوز حمل السبحة في العنق لأمور ثلاثة:

الأول أنه من محدثات الأمور التي حذر منها رســول الله أمته فقــال في حــديث العربــاض بن ســارية رضي الله عنــه:«عليكم بسنتي وسـنة الخلفـاء الراشـدين المهـديين تمسـكوا بها وعضـوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فــإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» رواه الإمام أحمد وأهل السنن, وقال الترمذي: هـذا حديث حسن صحيح,وصـححه ابن حبـان والحـاكم ووافقه الـذهبي في تلخيصــه, وروى الإمــام أحمد أيضا والشــيخان وأبو داود وابن



ماجة عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» وفي رواية لأحمد ومسلم والبخاري تعليقاً مجزوما به «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» - أي مردود.

الثاني أن في حملها في العنق مشابهة النساء لأن تعليق القلائد في الرقاب من أفعالهن وقد لعن رسول الله المتشبهين من الرجال بالنساء في عدة أحاديث ليس هذا موضوع ذكرها.

الثالث: أن في تعليقها في العنق مراءاة للناس, أو هو مظنة للمراءاة ومشابهة للمرائين. والرياء شرك وما كان مظنة للمراءاة ومشابهة المرائين فأقل أحواله الكراهة.

والمشروع عد التسبيح بالأصابع لا بالسبحة, قال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى عد التسبيح بالأصابع سنة كما قال النبي للنساء سبحن واعقدن بالأصابع فإنهن مسؤلات ومستنطقات وأما عده بالنوى والحصى ونحو ذلك فحسن, وكان من الصحابة من يفعل ذلك وقد رأى النبي أم المؤمنين تسبح بالحصى وأقرها على ذلك. وروي أن أبا هريرة رضي الله عنه كان يسبح به.

وأما التسبيح بما يجعل في نظام من الخرز ونحوه فمن الناس من كرهه, ومنهم من لم يكرهه, وإذا أحسنت فيه النية فهو حسن غير مكروه, وأما اتخاذه في اليد أو نحو ذلك فهذا إما رياء للناس أو مظنة المراءاة, ومشابهة المرائين من غير حاجة, والأول محرم والثاني أقل أحواله الكراهة, فإن مراءاة الناس في العبادة المختصة كالصلاة والصيام والذكر وقراءة القرآن من أعظم الذنوب انتهى.

وروى محمد بن وضاح عن الصلت بن بهرام قال مر ابن مسعود رضي الله عنه بامرأة معها تسبيح تسبح به فقطعه وألقاه, ثم مر برجل يسبح بحصى فضربه برجله ثم قال لقد سبقتم, ركبتم بدعة ظلماء, أو لقد غلبتم أصحاب محمد علماً.

وروى ابن وضاح أيضاً عن أبان بن أبي عياش قال سألت الحسن عن النظام من الخرز والنوى ونحو ذلك يسبح به, فقال: لم يفعل ذلك أحد من نساء النبي ولا المهاجرات, وبلغني أن ابن مسعود مر على رجل وهو يقول لأصحابه سبحوا كذا وكبروا كذا وهللوا كذا قال ابن مسعود: على الله تعدون أو على الله تسمعون, قد كفيتم الإحصاء والعدة, قال إبان فقلت للحسن فإن سبح الرجل وعقد بيده قال لا أرى بذلك بأساً.

فصل

وقال المصنف في صفحة (107) ما نصه:



ومما ظهر وشاع في هذا الزمان من مقالات الكفار التي روجها هـؤلاء المـارقون مقالة داروين النشـوء والارتقـاء, وأن الإنسـان أصـله قـرد, وقد أشـار النـبي إلى هـذه المقالة وبطلانها في الحديث الصحيح المخرج في الصحيح عن النـبي قـال «إن الله خلق آدم على صـورته» أي صـورة آدم الـتي خلقه عليهـا, ولم يخلقه في صـورة القـرد ثم بعد ذلك النشـوء والتطـور والارتقـاء صار إلى هذه الصورة الموجود عليها بنو آدم اليوم.

والجـواب أن يقـال: أما مقالة داروين فهي كفر صـريح لما فيها من التكـذيب بما أخـبر الله به عن خلقه لآدم من طين, وأن الله تعـالى خلقه بيديـه, ونفخ فيه من روحـه, وأمر الملائكة بالسـجود له. وهذه فضائل عظيمة خص الله بها آدم دون سائر المخلوقات.

وفي هـذه المقالة الخبيثة أيضـاً أعظم عقـوق لآدم أبي البشر حيث جعلـوه ناشـئاً من القـردة الـتي هي من أخبث الحيوانـات وأشوهها خلقاً.

ولا تستغرب هذه المقالة الخبيثة وأمثالها من مقالات الكفر من ملاحدة الإفرنج وأشباههم من أعداء الله تعالى, وإنما المسـتغرب تلقيها بـالقبول من كثـير من المنتسـبين إلى الإسـلام, ومنهم من ينتسب إلى العلم, وقد رأيت معناها منشـوراً في بعض صـحف المسـلمين الرائجة عنـدهم, وما رأيت أحـداً أنكر ذلك عليهم, فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وإنما يقول بهـذه المقالة الخبيثة من ينكر وجـود الصـانع, ويـرى أن المخلوقات إنما تكونت من قبل الطبيعة لا بفعل الرب الفاعل المختار الذي أوجد جميع المخلوقات من العدم وصورها على غير مثال سبق, قال الله تعالى (وخلق كل شيء فقدره تقديراً) وقال تعـالى مخـبراً عن موسى عليه الصـلاة والسـلام (قـال ربنا الـذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) وقال تعـالى (لقد خلقنا الإنسـان في أحسن تقويم) وقال تعـالى (أم خلقـوا من غـير شـيء أم هم الخالقون). وفي هذه الآيات رد على ملاحدة الإفرنج ومن يقلدهم من طغـام المسـلمين فيما يزعمونه من النشـوء والتطـور والارتقاء, والآيات في الرد عليهم كثيرة وفيما ذكرته ههنا كفاية.

وفي الحديث الصحيح عن أبي موسى رضي الله عنه عن النـبي أنه قال «إن الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قـدر الأرض, جـاء منهم الأبيض والأحمر والأسـود وبين ذلـك, والخـبيث والطيب والسـهل والحـزن وبين ذلـك» رواه الإمـام أحمد وأبو داود والترمـذي وابن حبـان في صـحيحه, والحـاكم في مسـتدركه, والـبيهقي في سـننه, وقـال الترمـذي: هـذا حـديث حسن صـحيح, وصـححه الحـاكم ووافقه



الذهبي في تلخيصه. وفي هذا الحديث رد على من قال بالنشوء والتطور والارتقاء في بني آدم.

وأما تأويل المصنف لقول النبي إن الله تعالى «خلق آدم على صورته» بقوله أي صورة آدم التي خلقه عليها, فهو تأويل باطل مردود وهو من أقوال الجهمية, نص على ذلك الإمام أحمد رحمه الله تعالى في رواية أبي طالب عنه. قال أبو جعفر محمد بن علي الجرجاني المعروف بحمدان سألت أبا ثور عن قول النبي «إن الله خلق آدم على صورته» فقال على صورة آدم وكان هذا بعد ضرب أحمد بن حنبل والمحنة, فقلت لأبي طالب قل لأبي عبدالله, فقال لي أبو طالب قال لي أبو عبدالله: صح الأمر على أبي ثور, من قال إن الله خلق آدم على صورة آدم فهو جهمي, وأي صورة كانت لآدم قبل أن يخلقه؟

وقال زكريا بن الفرج سألت عبدالوهاب - يعني الوراق - غير مرة عن أبي ثور فأخبرني أن أبا ثور جهمي, وذلك أنه قطع بقول أبي يعقوب الشعراني حكى أنه سأل أبا ثور عن خلق آدم على صورته فقال إنما هو صورة آدم ليس هو على صورة الرحمن. قال زكريا فقلت بعد ذلك لعبدالوهاب ما تقول في أبي ثور؟ فقال ما أدين الله عز وجل فيه إلا بقول أحمد بن حنبل: يهجر أبو ثور ومن قال بقوله. قال زكريا وقلت لعبدالوهاب مرة أخرى وقد تكلم قوم في هذه المسألة خلق الله آدم على صورته فقال من لم يقل إن الله خلق آدم على صورة الرحمن فهو جهمي.

وقد قال عبدالله بن الإمام أحمد في كتاب السنة حدثني أبو بكر الصاغاني حدثنا أبو الأسود وهو النضر بن عبدالجبار حدثنا ابن لهيعة عن أبي يونس - وهو سليم بن جبير السدوسي مولى أبي هريرة - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله قال «إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه, فإنما صورة الإنسان على وجه الرحمن». ابن لهيعة ضعفه بعض الأئمة, وحسن بعضهم حديثه, وروى له مسلم مقروناً بآخر, وبقية رجاله ثقات.

وقال أبو بكر الآجري في كتاب الشريعة أخبرنا أبو محمد عبدالله بن صالح البخاري قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم المروزي قال حدثنا جرير بن عبدالحميد عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله «لا تقبحوا الوجه فإن ابن آدم خلق على صورة الرحمن عز وجل» إسناده صحيح. أبو محمد عبدالله بن صالح البخاري قال فيه أبو علي الحافظ: ثقة مأمون, وقال أبو بكر الإسماعيلي: ثقة ثبت, وقال أبو الحسن ابن المنادي: هو أحد الثقات والصلاح والفهم لما يحدث به, وبقية رجاله رجال الصحيح.



قال أبو بكر الآجري هذه من السنن التي يجب على المسلمين الإيمان بها, ولا يقال فيها كيف ولم, بل تستقبل بالتسليم والتصديق وترك النظر, كما قال من تقدم من أئمة المسلمين حدثنا أبو نصر محمد بن كردي قال: حدثنا أبو بكر المروذي قال سألت أبا عبدالله أحمد بن حنبل رحمه الله عن الأحاديث التي تردها الجهمية في الصفات والأسماء والرؤية وقصة العرش, فصححها وقال: تلقتها العلماء بالقبول, تسلم الأخبار كما جاءت.

وقال أبو بكر المروذي: وأرسل أبو بكر وعثمان ابنا أبي شيبة إلى أبي عبدالله يستأذنانه في أن يحدثا بهذه الأحاديث التي تردها الجهمية, فقال أبو عبدالله حدثوا بها فقد تلقتها العلماء بالقبول.

وقال أبو عبدالله تسلم الأخبار كما جاءت.

قال محمد بن الحسين الآجري: سمعت أبا عبدالله الزبيري وقد سئل عن معنى هذا الحديث, فذكر مثل ما قيل فيه, ثم قال أبو عبدالله: نؤمن بهذه الأخبار التي جاءت كما جاءت, ونؤمن بها إيماناً ولا نقول كيف, ولكن ننتهي في ذلك إلى حيث انتهي بنا فنقول في ذلك ما جاءت به الأخبار كما جاءت.

فصل

وفي صفحة (113) وصفحة (114):

ذكر المصنف عداوة المستشرقين للإسلام, وشدة بحثهم عن الطرق الموصلة إلى القضاء عليه وإفساده, واتفاق الدول الكافرة على ذلك, وإنفاقهم الأموال الباهظة عليه.

قال ومع ذلك فهم أشد الناس خدمة للصوفية وتعظيما لهم, واحتراما لأضرحة الأولياء وإقامة الموالد التي تقام لهم كل سنة, حتى إنهم هم الذين ينفقون عليهم في بعض الأحيان ويشجعون القبائل على إقامتها بحضور الرؤساء منهم وغير ذلك, مع ما فيه من المظاهر الإسلامية والتآلف والاجتماع والتعارف الذي يحصل بينهم بسببها, وهو الذي يحاربونه بمكة ويسعون في القضاء عليه.

والجواب عن هذا من وجوه:

أحدها: ان تعظيم الأضرحة وإقامة الموالد للصوفية ليس هو من المظاهر الإسلامية. وإنما هو من مظاهر الوثنية والبدع المضلة. وهل وقع الشرك وعبادة القبور قديماً وحديثاً إلا بسبب الغلو في الأولياء أو من تظن الولاية فيه, والعكوف على قبورهم وتعظيمها بالبناء والكتابة عليها والتمسح بها واتخاذها مساجد, وغير ذلك مما نهى عنه الشرع المطهر.

الوجه الثاني: من عجيب أمر المصنف وقبيح جهله قوله عن احترام أضرحة الأولياء وإقامة الموالد للصوفية أن فيه أعظم تأييد للدين, وهذا من قلبه للحقيقة, فإن هذه الأمور من أعظم



هــوادم الــدين كما لا يخفى على من له أدنى علم وفهم. وهــذا مولد البدوي الذي تقيمه الصوفية وأمثالهم من الطغام في كل عام, ويحضره مئات الألوف من الناس الذين لا يسمعون ولا يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا من الأنعام, ويحصل فيه من أنواع الشرك والبدع والمنكرات العظيمة ما لا يعد ولا يحصى, هل يقول مسلم إنه من المظاهر الإسلامية وإن فيه تأييداً للدين؟ كلا. لا يقول هذا مسلم, وإنما يقوله من طبع الله على قلبه فصار يرى الحق في صورة الباطل والباطل في صورة الحق, عياذاً بالله من رين الذنوب وانتكاس القلوب.

... الوجه الثالث: أن خدمة الإفرنج للصوفية وتعظيمهم لهم ليس هو من أجل تمسك الصوفية بدين الإسلام كما قد توهمه المصنف وإنما ذلك لما بينهم وبين الصوفية من المناسبة والمشاكلة في الغلو في المخلوقين والبعد عن الدين الصحيح.

فأما الإفرنج فلا يخفى ما هم عليه من الغلو في المسيح وأمه والحواريين وغيرهم من القديسين عندهم, حتى اتخذوا المسيح وأمه إلهين من دون الله.

وأما الصوفية فلا يخفى ما هم عليه من الافتتان بالبدوي وغيره من المعتقدين عندهم, حتى اتخذوهم آلهة من دون الله, يفزعون إليهم في قضاء الحاجات وتفريج الكربات وإغاثةاللهفات, ويسمون البدوي قطب الأقطاب والغوث الذي يتصرف في الكون ويدبر فيه. ومن كانت هذه حالهم فلا تستغرب خدمة أشباههم لهم وتعظيمهم إياهم.

وأيضاً فإن المستشرقين من علماء الإفرنج لا تخفى عليهم مخالفة الصوفية لدين الإسلام وبعدهم عنه, فهم لذلك يخدمون الصوفية ويعظمونهم, ويقيمون لهم الموالد وينفقون الأموال الكثيرة فيها ويشجعونهم عليها, يريدن بذلك إظهار الوثنية والبدع وأنواع المنكرات, وتوهين الإسلام والقضاء عليه كما قال الله تعالى (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون).

الوجه الرابع: أن أعظم المظاهر الإسلامية أركان الإسلام الخمسة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله ولزوم طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ في كل شيء.

ولم يكن المستشرقون يشجعون المسلمين على هذه الأمور, لأنها من أبغض الأشياء إليهم, وإنما كانوا يشجعون الطغام على ما يخالف الإسلام ويهدمه, من أنواع الشرك والبدع والمعاصي.

الوجه الخامس: من أعظم فضائل النجديين وأكبر مناقبهم محاربتهم للمظاهر الوثنية والبدع وسعيهم في القضاء عليها.



وهذا المصنف المسكين قد ذكر أنهم يحاربون إقامة الموالد بمكة ويسعون في القضاء عليها, يريد بذلك ذمهم وعيبهم, ولا يدري أنه في الحقيقة مادح لهم ومثن عليهم بقمع البـدع والمحـدثات الـتي حذر منها رسول الله وأخبر أنها ضلالة.

ولما كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه أهل توحيد وسـنة ومحاربة لأهل الشـرك والبـدع, كـان هـذا الصـوفي المفتـون بالمظـاهر الوثنية والبـدع المضـلة يشن الغـارة عليهم بالإفك والبهتان, فيقول عن ظهور الشيخ محمد وتجديـده للـدين إن ذلك هو طلوع قرن الشيطان في نجد, ويقول عن نشر الشيخ للتوحيد والسـنة إن ذلك هو نشر الفتنـة, ويسـمي النجـديين بـالقرنيين, ويقول إنهم يبغضون الرسول , وإنهم يحاربون المدينة ويسـعون في القضاء عليها وإنهم أعـداء أهل المدينة وإنهم يضـيقون عليهم ويعاملونهم بما يحملهم على مفارقتها والخروج منها لتخـرب. وما ينقم هـذا الصـوفي منهم إلا أنهم ينكـرون ما هو مفتـون به هو وشيعته الصوفية من المظاهر الوثنية والبدع المضلة.

فصل

وفي صفحة (124):

زعم المصنف أن إجابة الـدعاء قد رفعت إلا في رمضـان, وعند الكعبة, وعرفات, ثم رفعت مطلقاً.

والجواب: أن يقـال هـذا القـول خطأ ظـاهر ورجم بـالغيب ومن أين له العلم برد الداعين كلهم وعدم إجابتهم؟ (أعنده علم الغيب فهو يرى).

ولم يزل المسلمون ولله الحمد يـرون إجابة الـدعاء للجماعـات والأفراد, فما زعمه المصنف من رفع الإجابة مردود عليه.

فصل

وفي صفحة (127):

سـمى المصـنف النجـديين بـالقرنيين, وزعم أنهم أعـداء أهل المدينـة, وأنهم يضـيقون عليهم, ويعـاملونهم بما يحملهم على مفارقتها والخروج منها لتخرب.

والجواب: أن يقال هذا من الكـذب والبهتـان, كما لا يخفى على من رأى المدينة وأهلها في هذه الأزمـان. وقد تقـدم الجـواب عن هذا البهتان في أثناء الكتاب (صفحة 79 فما بعد) فليراجع.

فصل

وفي صفحة (131):

جزم المصنف أن علماء الوقت هم شر من تحت أديم السماء.



والجواب: أن يقال هذا الإطلاق خطأ ورجم بالغيب, ومن أين له العلم بأحوال العلماء كلهم حتى يحكم عليهم بـأنهم شر من تحت أديم السماء؟ (أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً).

والحق أن العلماء ليسوا كلهم مـذمومين, لأنهم لم يكونـوا على طريقة واحدة, بل منهم المحسـنون المسـتحقون للثنـاء والمـدح, ومنهم المسيئون المستحقون للذم والقدح.

وقد ثبت عن النبي أنه قـال «لا تـزال طائفة من أمـتي قائمة بأمر الله, لا يضـرهم من خـذلهم أو خـالفهم, حـتى يـأتي أمر الله وهم ظـــاهرون على النـــاس» رواه عن النـــبي ثلاثة عشر من الصحابة رضي الله عنهم, وكلها أحاديث صحيحة.

والمــراد بالطائفة المنصــورة أهل الســنة والجماعــة. وجــزم البخــاري في صــحيحه أنهم أهل العلم. وقـال ابن المبـارك وابن المديني وأحمد بن سنان وابن حبان: هم أصحاب الحـديث. وقـال يزيد بن هـارون وأحمد بن حنبـل: إن لم يكونـوا أهل الحـديث فلا أدري من هم؟ قـــال القاضي عيـــاض:«إنما أراد أهل الســـنة والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث» انتهى.

وفي هذه الأحاديث رد لما جزم به المصنف في علمـاء الـوقت, لأن الطائفة المنصورة لم تنقطع من الأرض ولا تنقطع منها حــتى يـأتي أمر الله تعـالى بهبـوب الـريح الطيبة الـتي تقبض روح كل مؤمن.

وإذا كــانت الطائفة المنصــورة باقية إلى الآن فلا بد أن يكــون فيها علماء صالحون مصلحون لما أفسد النـاس, وأولئك من خـير من تحت أديم السماء, لا كما يقـول المصـنف إنهم شر من تحت أديم السماء.

فصل

وقال المصنف في صفحة (137) ما نصه:

فلو طاف المرء أقطار الأرض لما وجد من يفتيه بسنة أصلا.

والجواب أن يقال هـذا القـول خطأ ظـاهر, فـإن الأرض لم تخل من قـــائم لله بحجـــة, ولا تخلو ما دامت الطائفة المنصـــورة موجودة.

وكبـار العلمـاء عنـدنا في الجزيـرة العربية لا يعـدلون عن الفتيا بالكتاب والسنة, وإذا عدموا الدليل من الكتاب والسنة رجعوا إلى أقوال الصحابة, وبعد ذلك إلى أقوال التابعين وأئمة العلماء.

فصل

وفي صفحة (138):



ذكر المصنف قول النبي «لا تـزال طائفة من أمـتي ظـاهرين على الحق, لا يضرهم من خالفهم ولا من خـذلهم حـتى يـأتي أمر الله وهم على ذلك».

ثم قال ما نصه:

وتحدثا بنعمة الله علينا نقـول إننا من تلك الطائفة والحمد للـه, وبنا وبأمثالنا ينـدفع الضـلال عن هـذه الأمـة, ويتحقق ما أخـبر به النبي من أن أمته لا تجتمع على ضلالة, وأنها لا تـزال بها طائفة قائمة بالحق عاملة به إلى أن يأتي أمر الله وهم على ذلك. بل لا نبالغ إذا قلنا قد وردت الإشارة إلينا والحمدلله تعـالى على فضـله ومنته وذلك فيما رواه ابن وضاح وغيره من حـديث معـاذ بن جبل رضي الله عنه قـــال: قـــال رســـول الله «إذا ظهـــرت فيكم السكرتان: سكرة الجهل؛ وسـكرة حب العيش وجاهـدوا في غـير سبيل الله فالقائمون يومئذ بكتـاب الله سـراً وعلانية كالسـابقين الأولين من المهاجرين والأنصار».

فليس في مغربنا بل ولا في الشمال الأفريقي قائماً بكتاب الله داعياً إليه سراً وعلانية, محاربـاً ومخالفـاً من المقلـدة الـذين هم أكثر أهل الأرض غيرنا.

والجواب أن يقال هذه دعوى المصنف لنفسه وتزكيته لها. والله أعلم هل هو عند الله كذلك أم لا؟ وقد قال الله تعالى (فلا تزكـوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى).

وقد ذكـرت عنه كثـيراً مما يخـالف ما عليه الطائفة المنصـورة, ولا سيما تفسيره لجملة آيات من القرآن بمجرد رأيه, وقوله على الله وعلى رسوله بغير علم, وكذلك استحلاله للكـذب والبهتـان على أهل نجد وعيبهم بما ليس فيهم, والكـــــذب من النفـــــاق, وسباب المسلم فسوق وكـذلك تعظيمه للمظـاهر الوثنية والبـدع الـتي تقيمها الصـوفية في الموالـد, وكـذلك استرسـاله في اللعن والشتائم, وكذلك تقريره لمذهب الجهمية في قـول النـبي «إن الله تعـالى خلق آدم على صـورته» إلى غـير ذلك مما ذكرته عنه فيما تقدم, فلـيراجع ذلك وليقـارن بينه وبين ما ادعـاه لنفسه من مرتبة الكمال, فما أبعدها دعوى من الصحة.

فصل

وقد صـدر المصـنف كثـيراً من عنـاوين كتابه بقولـه:«إخبـاره بكذا وكذا» بصيغة الجـزم بـأن النـبي أخـبر بـذلك. وهو لم يـرد صريحاً عن النبي .

وهذا من القول على النبي بما لم يقله, وقد تواترت الأحاديث بالوعيد الشـديد لمن قـال على النـبي ما لم يقلـه, وليس هـذا موضوع ذكرها.



فصل

وقد أكثر المصنف من اللعن والشتم في كتابه الـذي رددنا عليه فيه, وربما فعل ذلك في حق أناس معينين.

ولا يجوز لعن المعين ولو كان كافراً, إلا إذا تحقق أنه مات على الكفر فأما إذا كان حياً فإنه يرجى له الإسـلام فيـدعى له بالهداية ولا يدعى عليه بالطرد والإبعاد من رحمة الله.

ولما لعن رسـول الله أناسـاً معيـنين من رؤسـاء الكفـار يـوم أحد, أنـزل الله عليه (ليس لك من الأمر شـيئاً أو يتـوب عليهم أو يعـذبهم فـإنهم ظـالمون) ثم تـاب الله عليهم فأسـلموا وحسن إسلامهم. والحديث بذلك في صحيح البخاري ومسند الإمـام أحمد وغيرهما من حديث ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم.

فأما لعن أهل المعاصي على سـبيل العمـوم فجـائز, وهو كثـير في الكتاب والسنة.

وقد ورد النهي عن اللعن والسب في أحـاديث كثـيرة ليس هـذا موضع ذكرها.

وروى الإمام أحمد ومسلم وأبو داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله «لا يكون اللعانون شـفعاء ولا شـهداء يوم القيامة».

وروى الإمــام أحمد أيضا والترمــذي وابن حبــان في صــحيحه والحاكم في مسـتدركه والـبيهقي في شـعب الإيمـان عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله «ليس المـؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البـذيء» قـال الترمـذي: هـذا حديث حسن غريب, قال الحـاكم: على شـرط الشـيخين, وأقـره الذهبي في تلخيصه.

وروى الترمـذي أيضـاً عن ابن عمر رضي الله عنهما قـال قـال النبي «لا يكون المؤمن لعانا» قال الترمذي هـذا حـديث حسن غريب, وروى بعضهم هذا الحديث بهذا الإسناد عن النبي وقــال «لا ينبغي للمؤمن أن يكون لعانا».

قلت وقد رواه الحاكم في مستدركه بهذا اللفـظ, وفي رواية له «لا ينبغي لمسلم أن يكون لعانا».

وروى الإمـام أحمد والطـبراني عن جرمـوز الهجيمي رضي الله عنه قال قلت يا رسـول الله أوصـني, قـال:«أوصـيك أن لا تكـون لعاناً».

وهذا آخر ما تيسر إيراده.

والحمدلله رب العالمين, وصــلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين, وسلم تسليما كثيراً.



وقد وقع الفراغ من تسويد هـذا الـرد في يـوم الإثـنين الموافق للعشرين من ربيع الأول سنة 1385هـ.

ثم كان الفراغ من كتابة هذه النسخة في يـوم الثلاثـاء الموافق للسـابع والعشـرين من ربيع الآخر من السـنة المـذكورة على يد جامعه الفقـير إلى الله تعـالى حمـود بن عبدالله التـويجري. غفر الله له ولوالديه وللمسلمين والمسلمات, الأحياء منهم والأموات, والحمدلله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وكــان الفــراغ من طبعه في 28 رمضــان المبـــارك 1385هــــ في مؤسسة النـــور للطباعة والتجليد زادها الله قوة في نصــرة الحق ودمغ الباطل.



الفهرس

صـــــــــــــــــــــــــفحة


شبكة
الألوكة
www.alukah.net